المحاضرة التمهيدية

قائمة الموضوعات

اهداف المقرر

- **أن يتعرف مفهوم علم التاريخ عند المسلمين.**
- **أن يتعرف نشأة التدوين التاريخي.**
- **أن يدرك العوامل التي أدت إلى ظهور الكتابة التاريخية.**
- **أن يدرك خط سير المدارس التاريخية.**
- **أن يتعرف على أشهر المؤرخين المسلمين.**
- **أن يُفنّد المزاعم الاستشراقية عن الكتابة التاريخية العربية.**

مفردات المقرر

المراجع والمصادر التعليمية

المراجع الرئيسة:

- السيد عبدالعزيز سالم، **التاريخ والمؤرخون العرب**، مؤسسة شباب الجامعة، 1967.

- روزنتال، فرانز، **علم التاريخ عند المسلمين**، ترجمة: صالح احمد العلي، مؤسسة الرسالة، 1983.

توزيع الدرجات

المحاضرة الأولى

مفهوم العلم وعلم التاريخ

علم التاريخ عند المسلمين

تحليل عنوان المقرر

علم

التاريخ

عند المسلمين

مفهوم العلم

العِلْم: نقيض الجهل، وعلمت الشيء علمًا أي عرفته. ويأتي العلم بمعنى الفقه، فالعلم بالشيء هو الفقه فيه.

ويمكن النظر إلى العلم في معناه ومقاصده وممارساته، من منظورين:

المنظور الأول: العلم بوصفه متصلاً باليقين أو الإيمان

المنظور الثاني: ينظر إلى العلم بوصفه نشاطًا إنسانيًا بحتًا ينتج عن سعي الإنسان للتعرف على نفسه وما يحيط به من ظواهر معتمدًا على مناهج وأدوات تحقق معرفة تتفاوت في الصواب والخطأ.

وسيكون التركيز في هنا على العلم بالمنظور الثاني

علم التاريخ عند المسلمين

يأتي العلم في القرآن الكريم بمعنى العلم بالوحي أي القرآن والسنة، كما في قوله تعالى: (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) .

وقد يأتي العلم حصرا في القرآن الكريم حسب تفسير ابن كثير لقوله تعالى: (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) .

ويأتي العلم كذلك بمعنى عِلْم بالدين، كما في قوله تعالى: (قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين). يقول القرطبي إن الذين أوتوا العلم هنا هم الملائكة وقيل الأنبياء وقيل المؤمنون. أما الذي أوتوه فهو عِلْم الدين.

وقد يأتي العلم أيضاً على خلاف هذه المعاني، كما في قوله تعالى: (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا يستهزئون) ، فالعلم هنا هو المناقض للعلم الذي جاءت به الرسل، وقيل من عِلْم الدنيا كما في قوله سبحانه: (يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا).

القرآن الكريم تضمّن أيضًا آيات تشير إلى العلم بمفهوم دنيوي يتصل بمعاش الإنسان، كتعليم الله سبحانه لآدم الأسماء كلها، وتعليم داود استعمال الحديد. تعليم سليمان منطق الطير. وفي قوله تعالى: (علم الإنسان ما لم يعلم). مطلق الدلالة للعلم تجعله يشمل علومًا كثيرة تتصل بمعاش الإنسان وسعيه في الحياة الدنيا إلى جانب علوم الوحي.

أما في السنة النبوية فيأتي العلم في المقام الأول بمعنى العلم بأمور الدين، لكنه قد يشمل غير ذلك. عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا إنما ورثوا العلم فمن أخذ به أخذ بحظ وافر ومن سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم) . فميراث الأنبياء هو العلم بالدين أولاً، وقد ورد في الحديث إشارة إلى العلم بالمعنى الدنيوي الدال على التحصيل الإنساني بالتجربة والتفحص، كما في قوله: (أنتم أعلم بأمر دنياكم) في الحديث المعروف حول تأبير النخل في صحيح مسلم. وفي رواية أخرى أنه قال: (إنما أنا بشر. إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به. وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر) .

تصنيف العلوم

بعيداً عن الصراع الذي حدث حول مفهوم العلم في فانه يمكن القول أن العلم مفهوم عام يشمل النظريات والتطبيقات العملية للمعارف المنَظّمَة التي تم جمعها وتصنيفها، أو اكتشافها وتطويرها، ودراسة العلاقات بينها، ضمن مناهج وطرائق محددة.

علم التاريخ عند العرب

لم يكن عند عرب في الجاهلية تاريخ كما هو معروف من هذا اللفظ اليوم ولكنهم كانوا يتناقلون أخباراً متفرقة بعضها حدث في بلادهم والبعض الآخر نقله إليهم الذين عاشروهم من الأمم الأخرى، فمن أمثال أخبارهم حروب القبائل المعروفة بـ(أيام العرب) وقصة سد مأرب واستيلاء أبي كرب تبان أسعد على اليمن وبعض من خلفه وملك ذي نواس وقصة أصحاب الأخدود وفتح الحبشة لليمن وقصة أصحاب الفيل وقدومهم للكعبة.

وعن علاقة العرب بجوارهم:

كانت للعرب قبل الإسلام صلاتهم ببعض الشعوب المجاورة لهم كالروم والفرس , سواء بسبب الاحتكاك التجاري أو الحربي، لذلك كان طبيعيا أن تتناول قصصهم ورواياتهم شيئا من تاريخ هذه الشعوب وأخبارها .

كان العرب قبل الإسلام يحددون الأوقات بالنجوم والأهلة ، كما كانوا يؤرخون عن طريق تسمية الأعوام بالأحداث العظيمة الحاسمة ، والوقائع المشهورة كعام الفيل ، وبناء الكعبة .... .وظل الأمر كذلك حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب الذي اتخذ الهجرة النبوية بداية للتاريخ العربي الإسلامي، فمضى الأمر على ذلك حتى وقتنا الحالي .

ورغم ذلك تم العثور على نقوش مدونه في اليمن تحكي أخبار ملوكهم وحياتهم العامة وكذلك لدى ملوك الحيرة..

كان العرب يتناقلون أحداث أيامهم ومعاركهم وبطولاتهم في انتصاراتهم عن طريق الرواية الشفوية ويتفاخرون بالشعر والنثر ، وان كان هناك نوعا من المبالغة في ذلك . كذلك ظهرت مسألة التفاخر بالأنساب ، فالقبيلة تتفاخر بنسبها وتحرص على أن تلقنه لأبنائها وأحفادها مع ما يتخلل ذلك من قصص البطولات بصورة نثرية وشعرية . ومن أمثلة ذلك ما وصلنا عن أخبار عرب اليمن وملوكهم ، وكذلك منافسة عرب الشمال لهم . هذا بالإضافة إلى ما عرف بأيام العرب.

أيام العرب :

هي وقائع العرب قبل الإسلام، تناول الإخباريون والعامة أيام العرب من الناحية مكارم الأخلاق والملاحم والبطولات والنواحي الأدبية من شعر ونثر أكثر من كونها وثائق

عسكرية. فهي ليست وثائق عسكرية تتحدث عن معارك حربية، وتصور روحًا قتالية مستمرة، ولكنها ذات محتوى درامي ورسالة أدبية ووظيفة ملحمية تكتسبها من الصوت الإبداعي المنبثق من وجدان الأمة العربية.

إن علم أيام العرب هو علم يبحث عن الوقائع العظيمة ، والأهوال الشديدة بين القبائل ..لذلك ينبغي أن يجعل فرعاً من فروع التواريخ .

المدرسة اليمنية : على اعتبار أنها استمرار للتيار الجاهلي قبل الاسلام
وقد اهتمت بأخبار أهل الكتاب، وتاريخ اليمن ، والتاريخ فيها قصص وأساطير .
والمؤرخون هنا قصاصون شعبيون أو إخباريون يرددون الروايات التاريخية كما هي دون محاولة جادة لنقدها أو تخليصها من الخرافات .
ففيها تبدو بوضوح سمات الروايات اليمنية في طابعها الأسطوري القصصي فهي مزيج من القصص الشعبي ، والإسرائيليات ، وفيها تمجيد لعرب اليمن ، كما أنها في أسلوبها لا تخرج كثيرا عن أسلوب قصص أيام العرب .

والبعض ينظر لرواد هذه المدرسة على أنهم قصاصين أكثر منهم مؤرخين.
وفي مقدمة وهؤلاء وهب بن منبه احد أعلام هذه المدرسة،
وهو يستقى موارده من الروايات الشفوية ، ومن كتب الأنبياء وغيرها ، فقد اشتهر بسعة الإطلاع .
فقد روى قطعا من العهد القديم (التوراة) خاصة من المزامير وسفر التكوين ، ولعله أخذ أيضا من الإنجيل معلومات عن ميلاد المسيح وحياته ، وعن بداية المسيحية وانتشارها في اليمن بالذات .
ونسبت إليه العديد من المؤلفات ، رغم أنه لم يصلنا منها إلا القليل من المقتبسات التي اقتبسها بعض الكتاب عنه مثل الطبري ،وابن قتيبة غيرهما.

ومما ينسب إليه أنه ألف "أحاديث الأنبياء ، و العباد أحاديث بنى إسرائيل " و"المبتدأ الخلق " و " الإسرائيليات " وكتاب " الملوك المتوجهة من حمير وأخبارهم وقصصهم و قبورهم وأشعارهم " .
ويبدو من هذا انه اهتم بالكتابة عن – خلق السموات والأرض ، وقصص الأنبياء ، وخاصة من بنى إسرائيل.
فهو بحق من أهم كتاب الأقاصيص و الأساطير اليمنيين ، وانه امتداد لفترة ما قبل الإسلام

، وان له أثاره التي امتدت لفترات تاليه ، فقد أدخل (عنصر القصة) في حقل التاريخ الإسلامي .

ولا يخفى علينا أن القصص الشعبي عن السيرة وعن المسلمين الأوائل هو – كما قلنا – امتداد للقصص القديم في أسلوبه وطريقته .
فدور وهب بن منبه وأمثاله إذن هو أنهم كانوا أول من وضعوا هيكلا – وان كان قصصيا – لتاريخ النبوة منذ بدء الخليقة حتى ظهور الإسلام ، وقد تأثر بهم عدد كبير من المؤرخين .

ولم يكن للأخبار والروايات في البداية أسانيد ، بل استمرت كجزء من الثقافة العامة وهي تهم الجميع ، وكان رواة الشعر أو مشايخ القبائل هم الرواة الاساسيون لها ، وهكذا استمر الوضع إلى فترة في المجتمع الإسلامي الأول كما كان الوضع قبل الإسلام – لكن ظهور الإسلام ، واستقرار القبائل في الأمصار أدي إلى تغيير كبير خاصة حين بدأ الاهتمام بالكتابة والقراءة وحدثت ثورة ثقافية كان للتاريخ بالطبع نصيبه فيها .

وإذا ما قارنا تفاصيل الأخبار في كتب المؤرخين المسلمين بما كان يوجد في العصور السابقة؛ فإنه من الملاحظ أنها قد تعددت بشكل لم يسبق إليه؛ بحيث كانت تكتب بأسلوب الشفرة أى قصيرة جدا، ودسمة جدا، والسطر الواحد قد يشتمل على أخبار بجزئيات نادرة تجعل منها أشبه بمتحف للمعلومات. ومثل هذا الجمع للأخبار التاريخية، لا يوجد إلا عند المؤرخين المسلمين وحدهم، ولم يظهر في حجمه الكبير هذا من قبل ولا من بعد.

علم التاريخ عند المسلمين

أوجد المسلمون علوما كثيرة ، والعلوم لا تقوم إلا على المنهجية؛ فهم لم يكونوا مجرد نقلة. ولا شك أن علم التاريخ، وهو مظهر من مظاهر تقدم حضارة المسلمين في العصور الوسطى، قد ألفوا فيه كتبا عديدة، وزاد عدد المؤرخين عندهم زيادة كبيرة؛ حتى أنها لا تقارن بما كان يوجد قبلهم، أو لدى غيرهم؛ بحيث أن علم التاريخ في عصرنا يدين لهم بالكثير.

والواقع؛ كان للمؤرخين المسلمين قدم راسخة في إبراز منهجية علم التاريخ؛ لتعنى ما يتمثل من قواعد ومعايير ضرورية يلتزم بها القائمون عليها؛ إذ أن الحقيقة التاريخية ليست شيئا

جامدا، وإنما بالأولى هي مرحلة فاصلة في شيء تجريبي متصل بغيره؛ وتعتبر جزءا من وعي المؤرخ؛ بقصد التوضيح والوصول إلى غاية محددة.

ومع أن معظم إدراكنا لمنهجية علم التاريخ في وقتنا قد أتى من أوربا؛ إلا أن الواقع يبين أن المؤرخين المسلمين يعتبرون واضعي أسسها؛ نتيجة لتراث تاريخي إسلامي عريض، استمر عدة قرون.

.....

المحاضرة الثانية

مفهوم علم التاريخ

علم التاريخ عند المسلمين

مصدر مصطلح «التاريخ»

كلمة عربية أصلها «أرخ» بلغة قيس أو «ورخ» بلغة تميم

ولا مجال لقبول تأويلات متعددة

منها القول الأصل العبري للكلمة ، من «ياريخ» القمر أو «يرخ» الشهر

ومنها الاصل الأكدي «أرخو»

ومنها الاصل الفارسي «ماه روز»

ويرجع الكثير من الكتاب العرب أن لفظ التاريخ مشتق من اللفظ (arch) الذي ينطق في اليونانية أرخ ومعناه القديم أو القدم ، وهو اللفظ الذي أتى منه مصطلح علم الآثار القديمة اركيولوجى (archaeology). ويستعمل اللفظ اليوناني بعد دخوله اللغات الأوروبية في معنى الأصل أو الأصيل فيقال arch type أي النموذج الأول . ولفظ

history وما يقابله في الايطالية storia وفى الفرنسية histoire مشتق من لفظ ستوريا اليوناني ومعناه الحكاية، وقد دخل هذا اللفظ اللغة العربية قبل الإسلام بمعنى الحكاية أو القصة. وأصبح لفظ تأريخ هو اللفظ الشائع عند العرب.

علم التاريخ عند المسلمين

كلمة تاريخ: تعني الزمن والحقبة وهذا المعنى لا نجده في الادب الجاهلي ولا القرآن الكريم ولا في الاحاديث النبوية واول استخدام لهذا المعنى كان في أيام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب

علم التاريخ عند المسلمين

مصطلح التاريخ عند العرب

تاريخ كل شيء: غايته ووقته الذي ينتهي إليه ، ومنه القول فلان تاريخ قومه في الجود، أي الذي انتهى إليه ذلك، الصولي(٣٣٦هـ) أدب الكتاب،

ويعتبر تعريف ابن خلدون للتاريخ من أدق واشمل التعريفات وأشار الكثير من كبار المؤرخين اليه حيث يقول في مقدمة كتابه : إن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال وتسمو إلى معرفته السوقة والإغفال، وتتنافس فيه الملوك والاقيال، وتضرب فيها الأمثال، وتطرف بها الأندية إذ غصها الاحتفال وتؤدى ألينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمرو الأرض حتى نادي بهم الارتحال، وحان لهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيتها وأسبابها عميق، فهو لهذا أصيل في الحكمة عريق.

علم التاريخ عند المسلمين

فكرة الوقت وتحديده قبل الإسلام

لم تكن هناك فكرة واضحة ومحددة

كان الاعتماد على التأريخ بالحوادث المشهورة مثلا:

نزول إسماعيل مكة.

عام الفيل.

حرب الفجار

ومنها أن العرب أرخوا في خلافة عمر بن الخطاب بهجرة رسول الله

علم التاريخ عند المسلمين

التاريخ الهجري

ينسب إلى عمر بن الخطاب قوله: « ضعوا للناس تاريخا يتعاملون عليه، وتصير اوقاتهم مضبوطة فيما يتعاطونه من معاملاتهم»

وقال قوم : يكتب على تاريخ الفرس فقيل إن تاريخهم غير مستند إلى مبدأ معين، بل كلما قام منهم ملك إبتدوا من وقت قيامه وطرحوا ما قبله.

واتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الإسلام من وقت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، لان وقت الهجرة لم يختلف عليه أحد بخلاف وقت مبعثه أو وقت ولادته .

علم التاريخ عند المسلمين

تاريخ وفاة رسول الله كان معلوماً

فلماذا لم يؤرخوا به؟

علم التاريخ عند المسلمين

يقول السخاوي «أما وقت وفاته وإن كان معيناً، فلا يحسُن عقلاً أن يُجعل الأصل لمبدأ التأريخ

فوقت الهجرة وقت استقامة ملة الإسلام، وترادف الوفود، واستقرار المسلمين،

فهو مما يتبرك به، ويعظم وقعه في النفوس»

علم التاريخ عند المسلمين

من أين جاء لعمر بن الخطاب فكرة التاريخ الهجري؟

علم التاريخ عند المسلمين

هناك من يقول أن أصل الفكرة جاءت من اليمن

مستند هذا الرأي أن يعلى بن أمية كان اول من أرخ، وقد أرسل كتابا مؤرخا إلى عمر بن الخطاب، فاستحسنه عمر بن الخطاب فشرع في التاريخ.....

هناك رأي آخر يقول: أن أبا موسى الأشعري يقول: «إنه تأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب ليس لها تاريخ فلا ندري على أيها نعمل

وهناك من يجعل التاريخ الهجري مأخوذا عن الفرس كما جاء في رواية ميمون بن مهران وفيها انه لما وصل إلى عمر بن الخطاب صك محله في شعبان، فقال عمر أي شعبان؟، الذي نحن فيه أو الذي هو آت» ثم جمع الصحابة، فأشاروا عليه، فاستحضر الهرمزان فقال إن لنا حسابا نسميه (ماه روز)

علم التاريخ عند المسلمين

ربما جاءت فكرة التاريخ من عرب الجنوب فقد كان اهتمامهم بالتوقيت لأسباب كثيرة أهمها:

اشتغالهم بالزراعة

وجود المواسم الدينية

اشتغالهم بالتجارة

وجدت في نقوشهم لفظ «ورخ»

علم التاريخ عند المسلمين

كيف تم تنفيذ فكرة التاريخ؟ بأي الاشهر نبدأ؟

علم التاريخ عند المسلمين

حصل خلاف حول الشهر الذي يجب البدء به

بعضهم أراد البدء برمضان

آخرون منهم عبدالرحمن بن عوف رأوا البدء برجب (أول الأشهر الحرم)

آخرون منهم علي وعثمان رأوا البدء بالمحرم

كونه آخر الأشهر الحرم

العرب تعظمه

هو اول هلال استهل بعد بيعة العقبة التي بموجبها اتفق الرسول مع اهل يثرب

أصبح «المحرم» بأل التعريف

علم التاريخ عند المسلمين

العرب يغلبون التأريخ بالليالي على الأيام

لأن الليل سابق على النهار

لان التقويم القمري مرتبط بالليل أساسا

علم التاريخ عند المسلمين

- **تطور مدلول مصطلح التاريخ في القرون الأولى**

- **فيشمل كتب حملت عنوان التاريخ مثل كتاب التاريخ للإمام البخاري (٢٣٠هـ)**
(هذه الكتب اقتصرت على سنوات الميلاد والوفاة للشخصيات المترجم لها)
- بعد ذلك أصبح التاريخ فناً قائماً بذاته «وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت»
- فشمل كتب الحوليات والوفيات والسير والتراجم

علم التاريخ عند المسلمين

❑ **يقول المسعودي (٣٤٦هـ) :**

(إذا كان كل علم فمن الأخبار يستخرج، وكل حكمة منها تستنبط، والفقه منها يستشار، والفصاحة منها تستفاد، وأصحاب القياس عليها يبنون، وأهل المقالات بها يحتجون، ومعرفة الناس منها تؤخذ، وأمثال الحكماء فيها توجد، ومكارم الأخلاق منها تقتبس، وآداب سياسة الملك والحرب فمنها تلتمس)

اتصال التاريخ بمصادر المعرفة الإسلامية: (القرآن الكريم)

أكد القرآن على أمثلة الشعوب الماضية البائدة، ولفت النظر إلى أخذ العبرة منها (ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)

جاء القرآن بنظرة عالمية للتاريخ ممثلة في تتابع النبوات، مما أثار الاهتمام بدراسة تاريخ الرسل والأنبياء

نص القرآن على أن سيرة الرسول هي مثل يقتدى للمسلمين، فكان الاهتمام بها كبيرا

علم التاريخ عند المسلمين

اتصال التاريخ بمصادر المعرفة الإسلامية: (الحديث الشريف)

يلخص السخاوي صلة التاريخ بعلم الحديث بقوله: « فعلم التاريخ فن من فنون الحديث النبوي، ... بل وقعه من الدين عظيم، ونفعه متين في الشرع، ... إذ به يظهر تزييف مدعي اللقا، وبيان ما صدر منه من التحريف في الإرتقا، إذ كان اختل عقله أو اختلط ولم يجاوز بلدته التي يدخلها الطالب فقط»

علم التاريخ عند المسلمين

اتصال التاريخ بمصادر المعرفة الإسلامية: (الحديث الشريف)

وعن فوائد علم التاريخ يقول السخاوي: « ... وتحفظ به الأنساب المترتب عليها صلة الرحم، والمتسبب عنها الميراث والكفاءة، ... وكذا تُعلم منه آجال الحيوف، واختلاف النقود والأوقاف، التي ينشأ عنها من الاستحقاق ما هو معهود، وينتفع به في الاطلاع على أخبار العلماء والزهاد والفضلاء والملوك والامراء والنبلاء وسيرهم ومآثرهم، في حربهم وسلمهم وما أبقى الدهر من فضائلهم أو رذائلهم بعد أن أبادهم الحدثان، وأبلى جديدهم الأوان، حيث تتبع الأمور الحسنة آثارهم، ولا يسمع منهم ، تنفر عنهم العقول المستحسنة من أخبارهم، ويعتبر بما فيها من المواعظ النافعة واللطائف المفيدة»

استعرض السخاوي مزيد من فوائد علم التاريخ وفضائله

فلما كان الاشتغال بفن التاريخ للعلماء من أجل القربات، بل من العلوم الواجبات، ...

وما يتصل بذلك من الاحوال التي يتكرر مثلها وأشباهها أبداً في العالم، غزير النفع، كثير الفائدة بحيث يكون من عرفه كمن عاش الدهر كله، وجرب الأمور بأسرها أو باشر تلك الاحوال بنفسه، فيغزر عقله، ويصير مجرباً، غير غر ولا غمر، ... وإنه أيضا جم الفوائد كثير النفع لذوي الهمم العالية والقرائح الصافية، لما جبل عليه طباعهم من الارتياح عند سماعهم هذه الأخبار إلى التشبه والاقتداء بأربابها، ليصير لهم نصيب من حسن الثناء وطيب الذكر...

علم التاريخ عند المسلمين

وقد ورد فوائد علم التاريخ عند أغلب المؤرخين ومنهم على سبيل المثال

ابو الفرج الأصفهاني ، (٣٥٦هـ) في كتاب الأغاني

بن الجوزي، ابو الفرج (٥٩٧هـ) في كتاب المنتظم في التاريخ

ابن الاثير (٦٣٠هـ) في كتاب الكامل في التاريخ

العماد الاصفهاني في (٥٩٧هـ) في كتاب الفتح القسي

الواسعي، عبد الواسع بن يحيى اليماني (١٣٧٩) فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن

ابن الخميس، ابو بكر محمد بن محمد بن علي

ابن أبي الدم، ابو اسحاق ابراهيم بن عبدالله (٦٤٢هـ)

ابن خلدون، عبدالرحمن (٨٠٨هـ) تاريخ العرب والعجم

علم التاريخ عند المسلمين

الفرق بين المصدر والمرجع

.....

المحاضرة الثالثة

كان لظهور الإسلام أثر كبير على نشأة علم التاريخ عند العرب، بل إن التاريخ العربي الإسلامي ولد ونشأ في كنف الإسلام وحضانته، الأمر الذي يعطي هذا العلم أصالته العربية الإسلامية بين العلوم الأخرى.

ويجب أن نشير إلى أثر الإسلام بمجمله: القرآن، الحديث، السنة ، ومن ثم فعاليات الدولة السياسية والعسكرية والاقتصادية، سواء في العهد النبوي أو الراشدي أو الأموي ثم العباسي ، باعتبارها مظهرا لفاعلية نظام الإسلام ودعوته، على حركة التدوين التاريخي .

فالقرآن الكريم، باعتباره كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عد رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم امتدادا لرسالات الأنبياء السابقين، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وبذلك جاء القرآن -كما أسلفنا -بنظرة عالمية للتاريخ، تمثلت في توالي النبوات، مما كان له أثره في العناية والالتفات إلى تواريخ أولئك المرسلين .. كما كانت الحاجة إلى تفسير القرآن ومعرفة مناسبات نزول آياته، وأخذ العبر من مصير الأمم السابقة، دافعا آخر من دوافع الاهتمام بالتاريخ واستنطاق الماضي البشري المليء بأحداثه والزاخر بمعطياته، يكمل الصورة التي يرسمها القرآن بأسلوبه المقتضب عن تلك الأمم .

وانطلقت الحاجة إلى التاريخ من طبيعة نزوله، فالقرآن الكريم لم ينزل مرة واحدة كاملا ، بل نزل تباعا وبالتدرج، وهذا جعل بعض أحكامه متدرجة ومتسمة، إما بالتعميم وإما بالتخصيص، بعضها نُسخ وبعضها استقر، الأمر الذي تطلَّب معرفة دقيقة بناسخه ومنسوخة، وسابقه ولاحقه، لما يترتب على ذلك من التزامات عبادية أو تشريعية أخرى .

أما الحديث، فهو يشمل أقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كان دافعا آخر لعناية المسلمين بالتاريخ، إذ أخذ المسلمون بجمعه وترتيبه للاستعانة به على تفسير القرآن الكريم، لأنه يعد الركيزة الثانية بعد القرآن الكريم للتشريع الإسلامي، الأمر الذي يعطي السنة هذه الأهمية التي بلغتْها عند المسلمين، فكانت العناية بها الأساس الذي قامت عليه فيما بعد كتب السيرة والمغازي .

فضلاً عن ذلك، هناك عوامل أخرى ساعدت على اهتمام المسلمين بالتاريخ، منها حركة الفتوح، أي البلدان والأقطار التي فتحها العرب المسلمون، هل كان ذلك الفتح صُلحاً أم عُنْوةً؟ وما يترتب على ذلك من حقوق بالنسبة لتقدير قيمة الخراج المفروض على الأرض، وكذلك تأسيس عمر رضي الله عنه للديوان، وتسجيل الناس فيه حسب أسبقيتهم في الإسلام .

ولا يفوتنا أن نذكر اهتمام الخلفاء بأخبار الماضين، للاطلاع على طرقهم ووسائلهم في إدارة بلدانهم، سواء أكان ذلك بالنسبة للفرس أم الروم، فاستقدموا الإخباريين إلى قصورهم وقربوهم، إضافة إلى أن بعض الذين دخلوا في الإسلام أرادوا نشر وإحياء تراثهم السابق، لأسباب تتصل بالعصبية لأقوامهم، أو لمجرد الرغبة العلمية، مما أضاف للتاريخ العربي الإسلامي مادة قيمة عن الأمم السابقة كالفرس والروم أو الهنود، فأكسبه بذلك نظرة عالمية .

إلى جانب ذلك، فإن الفتنة التي حدثت في عهد الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه، والتي انتهت بمقتله، وما أعقب ذلك من صراعات داخل كيان الأمة، تمخض عن ظهور أحزاب وقوى تناصر ذا أو ذاك، مما أدى إلى الاهتمام بالتاريخ لالتقاط ما يعينها على تدعيم موقفها في صراعها مع الغير، من حديث وسنة أو موقف لأحد الصحابة .

ولا يخفى أن السرعة التي تحققت بها الفتوحات الإسلامية، وامتداد الدولة الإسلامية من جبال البرانس (الحدود الفرنسية الإسبانية) إلى حدود الصين، حاملة راية الإسلام، أشعر العرب المسلمين بالانبهار والافتخار بسلامة نهجهم، كما أشعرهم بأن لهم دوراً ريادياً في التاريخ العالمي، فأخذوا بجمع وتحقيق عناصر هذه التجربة الكبرى، التي كان لهم شرف حملها وتبليغها للعالمين، فكان ذلك مدعاة لعنايتهم بالتاريخ .

بدايات التدوين :

السيرة والمغازي

إن بداية ظهور التدوين التاريخي عند العرب المسلمين، تشير إلى وجود اتجاهين في الدراسات التاريخية :

الاتجاه الأول : هو اتجاه ديني تخصصي يتمثل في اهتمام وعناية أهل الحديث بالدراسات التاريخية، التي ارتبطت منذ ظهورها بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه،
وبالنظر لكون مادة الدراسة هي ما يتعلق بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه، فقد أصبحت المدينة مركز هذا الاتجاه الذي يمثل الفعاليات والنشاطات الإسلامية .

.

أما الاتجاه الثاني : فهو اتجاه قبَليّ عام أو اتجاه (الأيام) ، وهو استمرار للتراث القبلي الذي كان سائدا قبل الإسلام، وقد تركز هذا التيار على الأغلب في الكوفة والبصرة .

وأصبح هذان التياران (الديني والقبلي) محوري النشاط الثقافي في صدر الإسلام .

الاتجاه الديني الإسلامي التخصصي

إن بداية التدوين التاريخي عند العرب المسلمين يمكن تَلمُّسُها في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعلم التاريخ مَدين بظهوره وروايته وتدوينه لتلك السيرة العطرة .

لقد فرضت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم نفسها على عدد من المسلمين للعناية والاهتمام بها، عن طريق حفظها وروايتها، ومن ثم نشرها بين الناس وكان هذا الاهتمام يعود إلى أهمية حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته بالنسبة للمسلمين .

فكانت أقواله وأفعاله صلى الله عليه وسلم المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، بعد القرآن، كما أن المسلمين بحاجة ماسة لها في التنظيمات الإدارية، بالبحث عن السيرة التي قام بها في هذا الخصوص، إضافة إلى أن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تفسر الكثير من آيات القرآن الكريم . كما أن جهاده وغزواته كانت مثار إعجاب المسلمين وانبهارهم .. فصبره وجَلَده في مقاومة الوثنية، وبثّ دعوته، وتركيز دعائمها، أصبحت مثلاً يحتذي ، وانتصاراته التي تختلط فيها المعجزة الإلهية بالعبقرية البشرية لقيادته، صارت من أحب المواضيع التي كانت تطرح في مجالس السمر عندالمسلمين .

إن التغير والتطور العظيم والشامل في حياة العرب الذي أحدثه الإسلام، جعل المسلمين أكثر حرصا ولهفة على تجميع كل ما يتعلق بحياة صاحب هذه الرسالة العظيمة ، و لذلك أصبحت سيرته عليه السلام أول ما جمع ودوِّن في الإسلام .

كما بدأ الاهتمام بدراسة غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، ضمن دراسة المحدثين للحديث وجمعه وتبويبه .

إن القصص التى جاءت في القرآن الكريم بقصد العبرة والاتعاظ، قد حفز هذا المسلمين على التساؤل عن تلك الأمم ومواطنها وأزمانها وصلتها ببعضها أو بالعرب .. ولأن أكثرها كانت من العرب كعاد وثمود، وأصحاب شعيب .. إلخ، فقد كان القرآن المحفز لدراسة التاريخ العربي القديم، إلى جانب التاريخ العام، في حين كان الحديث النبوي الشريف المحفز للاهتمام بجمع وتدوين التاريخ الإسلامي.

ولأن رسالة الإسلام كانت امتدادا تاريخيا لرسالات سابقة، نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام، ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد أصبح للماضي -

كما أسلفنا- قيمة كبيرة في نظر العرب المسلمين، لأنه يمثل العمق الذي تمتد فيه جذور رسالة الإسلام.

مناهج الكتابة التاريخية عند المسلمين

كتب السيرة النبوية ومغازي الرسول

حيث دفع اهتمامُ المسلمين بأقوال الرسول وأفعاله -للاهتداء بها، والاعتماد عليها في التشريع الإسلامي والنظم الإدارية- الكُتَّابَ إلى التصنيف في سيرة الرسول ، ويمكن تقسيم رواة السيرة وكتبهم حسب تَقَدُّمهم الزمني إلى ثلاث طبقات؛ الأولى: من أبرز رجالها: عروة بن الزبير بن العوام وهو تابعي (ت ٩٢هـ)، وأبان بن عثمان بن عفان، الذي ترك وراءه صُحُفًا تضمُّ مقتطفات من حياة الرسول، وشرحبيل بن سعد. ومن رجال الطبقة الثانية محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ويُعَدُّ من أعظم مؤرِّخِي المغازي والسيرة. أمَّا الطبقة الثالثة فمن أشهر رجالها محمد بن إسحاق، وتُنسب إليه أقدم كتب السيرة التي وصلتنا.

عَرَفَتِ الثقافة التاريخية الإسلامية منذ وقت مُبَكِّر كتب الطبقات، وهي تلك التي تتعلَّق بتدوين الحديث الشريف وتوثيقه؛ فأدَّى ذلك إلى النظر في أسانيد الحديث، وأحوال الرواة، ومِن ثَمَّ ولادة فكرة الطبقات نفسها.

فقد كان على علماء الحديث أن يهتموا بوضع معايير تسمح بقبول وتصحيح نص حديث الرسول ، وقد انصبَّتْ تلك المعايير على الجانب الخُلُقي في الراوي، وعلى مدى صدقه وتقواه، وأضافوا إليها تقصيًا عن البيئة الأسرية للرواة، وطبيعة ارتباطهم بالنبي ، والمدة التي قضوها معه، وعلاقاتهم بصحابته المقربين، أو بخلفائه الراشدين. كما ركزوا على حدوث لقاء فعليّ أو محتمل، وحرصوا على معرفة تاريخ الولادة والوفاة لكل واحد من الأعلام المذكورين في سلسلة الإسناد.

ومن ثَمَّ كان الإسناد في الحديث سببًا في ظهور التراجم التي تضم تفصيلات عن كل واحد من رجال السند، ولما كان ينبغي ترتيب أولئك الرجال على طبقات متتالية، والتركيز على المعاصرة، والعلاقات المشتركة، وطبيعة تلك العلاقات؛ سعيًا لتسلسل الإسناد إلى النبع الذي هو النبي ، كانت ولادة فكرة الطبقات، والتي قدَّمتْ رجال السند تحت تصنيفات متعددة . وعليه فقد ظهرت الطبقات في مجالات شتى؛ منها: كتب طبقات المحدِّثين، وطبقات الحُفَّاظ، وطبقات الفقهاء، وطبقات الشافعية ..... الخ.

كتب التراجم

وهي مصنَّفَات تَعْرِضُ لسير حياة مشاهير الناس الذين تجمعهم صفة الشهرة في مجال تخصُّصِهِمْ وبشكل موسوعي، وتتناول العلماء، والأدباء، والقادة، والخلفاء، وغيرهم، وأشهرها: (معجم الأدباء) لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، و(أُسْد الغابة في معرفة الصحابة) لأبن الأثير.

كتب الفتوح

وهي التي اهتمَّتْ بفتوح البلدان والأمصار مثل: كتاب (فتوح مصر والمغرب والأندلس) لابن عبد الحكم.

كتب الأنساب

وتهتم بأنساب العرب وأصولهم، وقد كان للعرب ولعٌ خاصٌّ بهذا العلم؛ نظرًا للعصبية القَبَلِيَّة التي كانت متأصِّلة فيهم قبل الإسلام، وكان من أشهر النسّابين: محمد بن السائب الكلبي صاحب كتاب (جمهرة النسب)، ومصعب الزبيري مؤلف كتاب (نسب قريش).

التواريخ المحلية

وهي المصنفات التاريخية التي كُرِّسَتْ لتاريخ بلد مُعَيَّنٍ بكثير من التفاصيل، ومن أشهرها: كتاب (ولاة مصر وقضاتها) لأبي عمر الكندي، وكتاب (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي، و(تاريخ دمشق) لعلي بن الحسن بن عساكر، ويقع في ثمانين مجلدً.

كتب التواريخ العامة

توسَّعت اهتمامات المؤرِّخين؛ فنشأت إلى جانب السير والتراجم مؤلَّفات أرْحَب وأوسع وأشمل يُطْلَقُ عليها (التواريخ العامَّة)، التي تعني بكتابة التاريخ مسلسلاً وَفْقَ تعاقب السنين، ويُسَجِّل فيها المؤرِّخ تاريخ البشرية منذ بدء الخليقة؛ مرورًا بالرسالات السماوية قبل الإسلام، والتاريخ الجاهلي، وعصر النبي ، والخلفاء الراشدين إلى التواريخ الإسلامية اللاحقة.

ومن أشهر مؤلّفي التواريخ العامة: محمد بن جرير، صاحب كتاب (تاريخ الرسل والملوك)، المشهور بتاريخ الطبري، وكتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) للمسعودي، وكتاب (الكامل في التاريخ) ويُعْرَف بتاريخ ابن الأثير لمؤلفه عز الدين بن الأثير، وهو من

أوثق مصادر التاريخ الإسلامي، وكتاب (البداية والنهاية) لابن كثير، وكتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) المشهور بتاريخ ابن خلدون لمؤلفه أبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون.

ويذكر أحد علماء الغرب (فرانز روزنثال) أنه لا شكَّ أن كمية المؤلفات التاريخية الإسلامية كبيرة، وأن الحوليات البيزنطية وثيقة الصلة بالحوليات الإسلامية، غير أن التاريخ الإسلامي تميز عنها بتنوعه الكبير وكميته الهائلة. إن مؤلفات المسلمين التاريخية قد تعادل في العدد المؤلفات الإغريقية واللاتينية، ولكنها بالتأكيد تفوق في العدد مؤلفات أوربا والشرق الأوسط في العصور الوسطى، ولا شكَّ أنه لم يكن بالإمكان إخفاء مكانتها الممتازة .

.....

المحاضرة الرابعة

منهج كتابة التاريخ عند المسلمين

- المنهج .
- منهج البحث التَّاريخي .
- بداية الكتابة التاريخية عند المسلمين .
- المنهج العلمي للتاريخ عند العلماء المسلمين .
- قواعد الكتابة التاريخية عند المسلمين .

المنهج :

ويعني السَّبيلَ الفكريَّ والخطوات العملية التي يتبعُها الباحِثُ في مَسَارِهِ بقصدِ تَحْصِيلِ العِلْمِ . وكانَ العُلَمَاءُ المسلمونَ يُعبِّرونَ عن المنهج بالأصولِ والقواعدِ. ولذلكَ وضعُوا أصُولاً وضوابطَ للبحثِ في مختلفِ العُلُومِ مثل أصولِ الحديثِ " المصطلح " وأصول التفسير وأصول الفقه . أما المنهجُ في الدِّراساتِ التَّاريخيةِ فإنَّهُ يَعني القواعدَ والشُّروطَ التي يجبُ مراعاتُها عندَ مُعالجةِ أيِّ حَدَثٍ تاريخيٍّ. سواء بالكتابةِ أو بالدِّراسةِ والتَّعليمِ، وهذه الشُّروطُ تتناولُ الكاتبَ ذاتَهُ كَمَا تتناولُ المصادِرَ التي يستمدُّ منها . كَمَا أنها تُعنى بالغايةِ والهَدَفِ من الدِّراسةِ والكِتابةِ، وتُعنَى كذلكَ بالأسلوبِ والمصطلحاتِ.

منهج البحث التَّاريخي:

فهو منهج إثبات الحقائق التَّاريخية"، و يعني القواعدَ والطُّرقَ التي اصطُلح على وضعِها بغرضِ الوصول إلى صحة المعلومات والتأكد من صوابِها. فيصبح المنهجُ بهذا المعنى أداةَ

بحثٍ ممكن استخدامها من قبل مجموعةٍ من الباحثين ،وإن اختلفتْ مناهجُ حياتِهم وعقائدِهم وتصوراتِهم.

أما المنهجُ عند المسلم محكومٌ بالتصور الإيمانيِّ والالتزام العقائديِّ، أي يلتزم بمقوِّمات العقيدة وقيمِها وتصوراتها عن اللهِ والكونِ والحياةِ وعن الإنسانِ ونشأتِهِ ومركزِهِ في هذا الكونِ ووظيفتِهِ وغايةِ وجودِهِ ومصيرِهِ الذي ينتهي إليه .

وعلى هذا الأساس من الالتزام بالعقيدةِ تُقاس أعمالُ المُؤرِّخين والباحثين وتُوزن مناهجُهم ومذاهبُهم في التأليف ؛لأنَّ الباحثَ المسلم ليس له مطلقُ الحرية في اتخاذ المواقفِ وتفسير الحوادث وتقييمها كيفما عنَّ له الخاطرُ. إنَّما هو مقيدٌ بالقواعدِ الشَّرعيةِ والأُصولِ العلميةِ المتبعةِ في إثباتِ الأخبارِ وردِّها . فليس مِنْ حقّه أنْ يتهمَ أحداً بناءً على روايةٍ لم يتأكَّدَ من صحتِها وعدالةِ رواتِها واتصال سندِها. ثم إذا ثبتتِ الرِّواية فإنَّ هناك قيوداً شرعيةً يلزم مراعاتُها في نقدِ الأشخاصِ وملاحظةِ مقاماتِهم مثل الصَّحابة -رضي الله عنهم- أو الأئمة الذين استفاضت عدالتُهم؛ لأنَّ الكلامَ في نقدِ مثلِ هؤلاءِ ليس كالكلامِ في أحدٍ غيرِهم ،كما أنَّ الكلامَ في عُمُومِ النَّاسِ له حدودٌ وضوابطُ ،ويجبُ أنَ يكونَ بحقٍّ وعلمٍ .

والمنهجية الإسلامية منهجيةٌ ملتزمةٌ ؛لتمسكها بالفضائل الخلقية. ،وأصيلة لاستقلالها عن غيرِها من المناهج، واستمدادِها من الأصولِ الشرعية ورجوعِها للمصادرِ الأصليةِ.

ومن شأن هذه المنهجيةِ الأصيلةِ والملتزمةِ أنْ تقيَ الباحثَ من الانحرافِ والزَّللِ وتصحح له رؤيتَهُ وتُقوِّم أحكامَهُ ونتائِجَهُ ،حتَّى وإنْ وقعَ في خطأٍ فإنَّهُ سُرعانَ ما يرجعُ عنه حالما يكتشفُ ذلك أو يُنبَّهُ إليه.

بداية الكتابة التاريخية عند المسلمين:

بدأ المؤرخون المسلمون كتابتهم التاريخية معتمدين على الرواية المسندة التي تتسم بثلاثة مظاهر:

- انفصال الأخبار فيما بينها واستقلالها.
- الطابع القصصي الذي لا يخلو من الحوار.
- الاستشهاد بالشعر.

أصبح المؤرخ المسلم بعد انتشار التدوين في القرن الثاني للهجرة ، يعتمد في كتابته التاريخية بقدر كبير على الذاكرة والحفظ ، وعلى الكتب التاريخية التي كتبها المؤرخون

الأولون ، ولم يلبث المؤرخون المسلمون أن تحرروا تدريجياً من طريقة الإسناد التي كانت تلزم المؤرخ بأن يكون مجرد أخباري ، أي ناقل للخبر ، إلى الكتابة المرسلة التي تعنى وتهتم بالخبر ومناقشته .

وهناك فريق من المؤرخين المسلمين ابتعدوا في كتابتهم عن طريقة الإسناد ، واكتفوا بإيراد الأخبار غير مسندة إلى أصحابها ، ومن هؤلاء : اليعقوبي (ت٢٨٤) والمسعودي (ت ٣٤٦) ، وكان هؤلاء المؤرخين يكتفون بذكر مصادر مادتهم التاريخية في مقدمات كتبهم ، مع دراستها في بعض الأحيان دراسة نقدية كما فعل المسعودي.

وكما تطورت الكتابة التاريخية من حيث الطريقة ، تطورت من حيث الأسلوب ، فبعد أن كان التاريخ يجمع في معظمه في صورة جمل قصيرة جافة لا ترتبط فيما بينها بصلة ، أصبح الأسلوب التاريخي مرسلاً بسيطاً وواضحاً في آن واحد ، يكاد يخلو في معظمه من الشعر ، وكثيراً ما استخدم السجع في الكتابة التاريخية ، على الرغم من أن التاريخ لم يكن فرعاً من الآداب التي تشجع على استخدامه. ومن المؤرخين الذين اشتهروا بالسجع في كتابتهم التاريخية : العماد الأصفهاني ، والكاتب الأندلسي الفتح بن خاقان.

وهناك مؤرخون جمعوا بين الكتابة المرسلة والعبارات المسجوعة أمثال المؤرخ الأندلسي أبو مروان حيان بن خلف المعروف بابن حيان المتوفى في ٤٦٠ هـ الذي يستخدم العبارات المسجوعة في بعض كتاباته .

المنهج العلمي للتاريخ عند العلماء المسلمين:

اتبع علماء الحديث منهجًا علميًا دقيقًا في تدوين السنة وقد جاء في القرآن والسنة أيضًا الإشارة إلى جملة من القوانين التاريخية، والسنن الربانية مما يعطي الباحث نظرة شمولية وعميقة في التحليل للأحداث. ولا بد أن يكون عالم التاريخ عالمًا بالقرآن وعلومه والحديث وعلومه لكي يستفيد من هذين المصدرين الأساسيين في عدة أمور شديدة الأهمية للمؤرخ أو لباحث التاريخ وهي : - التجرد من الأهواء المذهبية أو العنصرية أو القومية أو السياسية؛ إذ يشترط في المؤرخ المقبول الرواية مجموعة من الصفات والشروط التي يجعلها بعضهم كشروط راوي الحديث النبوي .

ويجب القول أن الأخبار التاريخية لا تصل إلى درجة الأحاديث النبوية أو القصص القرآنى إلا في النادر، مثل ما جاء مرويًا عن طريق علماء الحديث كأخبار السيرة النبوية وخلافة

الراشدين وبعض أخبار الأمم السابقة ورسلها الواردة عن طريق السنة، وإنما أكثر الأخبار التاريخية قد أتى عن طريق الإخباريين وبأسانيد غير أكيدة، ويكثر فيها المبالغات والخرافات، بل إن بعضها يرد بدون إسناد أي مصدر .

قواعد الكتابة التاريخية عند المسلمين:

وللكتابة التاريخية قواعد هامة وأصيلة عند العلماء المسلمين تتلخص في : ١- استخدام الأدلة والوثائق بعد التأكد من صحتها. ٢- حسن استخدام الأدلة والوثائق، وذلك بإتباع التنظيم الملائم للأداة مع تحرير المسائل وحسن عرضها. ٣- الإيمان بكل ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، ومن ذلك: الإيمان بالغيب والجزاء والقضاء والقدر، وردُّ كل ما خالف ذلك. ٤- تحري الصدق في استقصاء جميع الروايات والأدلة حول الحدث الواحد وإيرادها، ثم الجمع بينها إذا أمكن ذلك، أو الترجيح بين الروايات المختلفة وفقًا للقواعد المقررة في التحقيق، مع الاستعانة بأقوال العلماء الثقات.

٥- بيان المصادر والمراجع التي استمد منها معلوماته مع الضبط المتقن في نقل الأقوال ونسبتها لأصحابها. ٦- الاعتماد على النصوص الشرعية والحقائق العلمية ونبذ الخرافات. ٧- الالتزام بقواعد اللغة العربية، وعدم إخراج اللفظ عن دلالته إلا إذا وجدت قرينة صارفة له عن دلالته المباشرة. ٨- استعمال المصطلحات الشرعية في الكتابة التاريخية، مثل، المؤمن والكافر والمنافق؛ إذ لكل من هذه المصطلحات صفات محددة ثابتة وردت في القرآن الكريم وأحاديث الرسول . ولذا لا ينبغي العدول عن هذه المصطلحات إلى مصطلحات نبتت في أوساط غير إسلامية.

كذلك، فإن الحكم على الأعمال والمنجزات الحضارية ينبغي أن تستخدم فيه المصطلحات الشرعية، كالخير والشر والحق والباطل والعدل. ٩- اعتماد المصادر الشرعية والأصلية وتقديمها على كل مصدر، إذ يجب على الباحث المسلم أن يعتمد على القرآن الكريم ويعتبره مصدرًا أساسيًا في استقاء معلوماته عن الأنبياء والأمم السابقة وسيرة الرسول لأن القرآن الكريم قطعي الثبوت، ويأتي بعده الحديث النبوي في قوة الثبوت .

وإذا تناول المؤرخ على سبيل المثال أحداث فترة الخلفاء الراشدين، وكانت مصادر مادته من كتب الإخباريين ولا تتعلق بالعقائد والأحكام الشرعية، فهناك قاعدتان أساسيتان يجب ألا

يغفل عنهما المؤرخ المسلم، وهما: أ ـ النزعة المذهبية للإخباري، فمن كان متعلقًا بمذهب وفكرة معينة، فهو، لا شك، سيحاول أن يُدخل جميع ما يخدم هذه الفكرة، ولم ينج من هذا الخطر إلا القليل .

ب ـ النزعة السياسية للإخباري، ينزع الإخباري في الغالب إلى تلوين الأحداث ووضعها بما يخدم نزعته السياسية، ويرضي القائمين على هذه النزعة، وهنا يجب على دارس التاريخ أن يحدد النزعة السياسية للإخباري الذي يريد أن يأخذ منه، ومدى قربه أو بعده من الحاكم ومدى صداقته وعداوته له. والعداوة حجاب حاجز عن الحقيقة، فلا يُسمع كل كلام الخصم في خصمه، فلا بد من التمحيص. وهذا يعني وجوب أن يكون الإخباري عادلاً. ١١ـ معرفة مناهج الإخباريين والمؤرخين القدماء.

المحاضرة الخامسة

قواعد التحقق من الروايات التاريخية عند المسلمين

- اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر .

لأنها أصدق من كل وثيقة تاريخية فيما ورد فيها من أخبار ، كما أنها وصلتنا بأوثق منهج علمي ، ولئن كانت المادة التاريخية في كتب السنة ليست بنفس المقدار الموجود في المصادر التاريخية ، إلا أنها لها أهميتها لعدة اعتبارات منها :-

١ – أن معظم مؤلفيها عاشوا في فترة مبكرة ، وأغلبهم من رجالات القرن الثاني والثالث الهجري ، مما يميز مصادرهم بأنها كانت متقدمة .

٢ – ثم إن المحدثين يتحرون الدقة في النقل ، الأمر الذي يجعل الباحث يطمئن إلى رواياتهم أكثر من روايات الإخباريين .

- الفهم الصحيح للإيمان ، و دوره في تفسير الأحداث .

إن دارس التاريخ الإسلامي إن لم يكن مدركاً للدور الذي يلعبه الإيمان في حياة المسلمين ، فإنه لا يستطيع أن يعطي تقييماً علمياً وواقعياً لأحداث التاريخ الإسلامي .

- أثر العقيدة في دوافع السلوك لدى المسلمين :

إن منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتفسير حوادثه يعتمد في أصوله على التصور الإسلامي ، ويجعل العقيدة الإسلامية ومقتضياتها هي الأساس في منطلقاته المنهجية ، وفي تفسير حوادثه والحكم عليها .

وإن معرفة أثر الإسلام في تربية أتباعه في صدر الإسلام وتزكية أرواحهم ، والتوجه إلى الله وحده بالعبادة والمجاهدة ، يجعل من البديهي التسليم بأن الدافع لهم في تصرفاتهم وسلوكهم لم يكن دافعاً دنيوياً بقدر ما كان وازعاً دينياً وأخلاقياً .

ولأجل ذلك يجب استعمال الأسلوب النقدي في التعامل مع المصادر التاريخية ، وعدم التسليم بكل ما تطرحه من أخبار ، فتوضع الوجهة العامة للمجتمع الإسلامي وطبيعته وخصوصيته في الحسبان ، وينظر إلى تعصب الراوي أو الإخباري أو المؤرخ من عدمه ، فمن لاحت عليه أمارات التعصب والتحيز بطعن أو لمز في أهل العدالة والثقة من الصحابة ، أو مخالفة لأمر معلوم من الشريعة أو عند الناس ، أو معاكسة طبيعة المجتمع وأعرافه وقيمه الثابتة ، ففي هذه الأحوال لا يؤخذ منه ولا يؤبه بأخباره ؛ لأن التحيز والتعصب حجاب ساتر عن رؤية الحقيقة التاريخية .

- العوامل المؤثرة في حركة التاريخ .

إن المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ منهج شامل لكل الدوافع والقيم التي تصنع التاريخ ، غير واقف أما حدود الواقع المادي المحدود الظاهر للعيان فقط ، بل إنه يتيح فرصة لرؤية بعيدة يستطيع المؤرخ معها أن يقدم تقييماً حقيقياً وشاملاً أكثر التحاماً مع الواقع لأحداث التاريخ الإنساني ، وهذا سر المفارقة بين المنهج الإسلامي وبقية المناهج الأخرى الوضعية التي تفسر التاريخ تفسيراً عرقياً أو جغرافياً أو اقتصادياً .

العلم بمقادير الناس وأحوالهم ومنازلهم والتثبت فيما يقال عنهم :

قال ابن تيمية رحمه الله : إن الحكم على أي طائفة أو قوم ، يقوم على أصلين ، أحدهما : المعرفة بحالهم ، و الثاني : معرفة حكم الله في أمثالهم .

وهذان الأصلان يقومان على العلم المنافي للجهل ، والعدل المنافي للظلم ؛ إذ الكلام في الناس لا يجوز بغير علم وبصيرة .

وعلى هذا الأساس ينبغي التحري فيما يروى عن الوقائع التي كانت بين أعيان الصدر

الأول من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، فالمعرفة بحالهم تدل على كمال إيمانهم ، وصدقهم وحسن سريرتهم ، إذ توافرت النصوص الشرعية في تزكيتهم وتعديلهم .

وبناء على هذا لابد من الرجوع إلى المصادر الأصلية الموثوقة لمعرفة الحقيقة ، فلا يؤخذ من الكذابين والفاسقين وأصحاب الأهواء ؛ لأن فسقهم وهواهم يدفعهم إلى تصوير الأمر على خلاف حقيقته .

وهنا مجموعة من المقاييس ينبغي الأخذ بها في هذا الشأن ، و هي :-

١ – عدم إقحام الحكم على عقائد ومواقف الرجال بغير دليل في ثنايا سرد الأعمال ، إذ أن الحكم على أقدار الناس يجب أن يكون قائماً على حسن الظن حتى يثبت خلاف ذلك .

٢ – عدم تجاوز النقل الثابت إلى إيراد الظنون والفرضيات ، فهذا من فضل الدين أن حجزنا عنه ، ولم يفعل هذا مؤرخ فاضل ، ولم يقل أحد أن حسن الأدب هو السكوت عن الذنوب ، وإنما حسن الأدب هو رده وتنقية سيرة الصدر الأول منه .

كما أن حسن الأدب يقتضي السكوت عن الظنون والكف عن اقتفاء مالا علم لنا به يقيناً ، وكثيراً ما تلحّ على المرء في هذا شهوة الاستنتاج ودعوى التحليل ، وقد أمرنا الشرع أن تكون شهادتنا يقينية لا استنتاجيه فيما نشهد من حاضرنا ، ففي الآية { إلا من شهد بالحق وهم يعلمون } ، فكيف بمن يشهد بالظن والهوى فيمن أدبر من القرون .

٣ – إن الإسلام له منهجه في الحكم على الرجال والأعمال ، فهو يأمر بالشهادة بالقسط وعدم مسايرة الهوى في شنآن أو في محبة ، ويأمر بإتباع العلم لا الظن ، وتمحيص الخبر والتثبت فيه لئلا يصاب قوم بجهالة ، وهذا في حق كل الناس ، فكيف بخير القرون .

- الكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل وإنصاف :

الأصل في هذه القاعدة قوله تعالى { يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون }.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في منهاج السنة (٣٣٧/٤) : والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل ، لا بجهل وظلم كحال أهل البدع .

ويدخل ضمن هذه القاعدة ، العدل في وصف الآخرين ، والمقصود به هو العدل في ذكر المساوئ والمحاسن والموازنة بينهما .

فمن المعلوم أن أحداً لا يسلم من الخطأ لقول النبي صلى الله عليه وسلم كما في المسند

(١٩٨/٣) : كل بني آدم خطّاء . ولذلك ينبغي للمسلم إذا وصف غيره ألا يغفل المحاسن لوجود بعض المساوئ ، كما لا ينبغي أن يدفن المحاسن ويذكر المساوئ لوجود عداوة أو شحناء بينه وبين من يصفه ، فالله عز وجل أدبنا بأحسن الأدب وأكمله بقوله { ولا بخسوا الناس أشياءهم } .

- العبرة بكثرة الفضائل :

فإن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث ، وكذلك من غلبت فضائله هفواته اغتفر له ذلك ، وفي هذا الصدد يقول الحافظ الذهبي رحمه الله : وإنما العبرة بكثرة المحاسن . السير (٢٠ / ٤٦) .

وهذه قاعدة جليلة تعد بمثابة منهج صحيح في الحكم على الناس ، لأن كل إنسان لا يسلم من الخطأ ، لكن من قل خطؤه وكثر صوابه فهو على خير كثير ، والإنصاف يقتضي أن يغتفر للمرء الخطأ القليل في كثير صوابه .

ومنهج أهل السنة هو اعتبار الغالب على المرء من الصواب أو الخطأ والنظر إليه بعين الإنصاف ، وهناك قاعدة أخرى يمكن اعتبارها في هذا الباب وهي كما ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة (٨ / ٤١٢) : العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية .

- إحالة الحوادث على الخطأ في الاجتهاد :

نحن لا نعصم فرداً أو مجتمعاً ، إلا أن يكون نبياً أو رسولاً ، ومن هنا يجب أن نعلم أن الذين صنعوا التاريخ رجال من البشر ، يجوز عليهم الخطأ والسهو والنسيان ، وإن كانوا من كبار الصحابة أجلائهم ، إلا أنه ينبغي إحالة الحوادث إلى الخطأ في الاجتهاد .

- الطريقة المثلى في معالجة القضايا والأخطاء .

يلزم دارس التاريخ أن يدرس الظروف التي وقعت فيها أحداثه ، والحالة الاجتماعية والاقتصادية التي اكتنفت تلك الأحداث ، حتى يكون حكمه أقرب إلى الصواب .

- الاستعانة بعلم الجرح والتعديل للترجيح بين الروايات المتعارضة وبناء الصورة التاريخية الصحيحة .

ينبغي الاستعانة بمنهج المحدثين في نقد أسانيد الروايات ، فهو الوسيلة المثلى للترجيح بين الروايات المتعارضة ، كما أنه خير معين على رفض بعض المتون المضطربة أو الشاذة عن الإطار العام لتاريخ صدر الإسلام .

وعلى هذا الأساس يتم اعتماد الروايات الصحيحة ثم الحسنة لبناء الصورة التاريخية لأحداث المجتمع الإسلامي في عصر صدر الإسلام ، وعند التعارض يقدم الأقوى دائماً ، أما الروايات الضعيفة التي لا تقوى ، فيمكن الإفادة منها في إكمال الفراغ الذي لا تسده الروايات الصحيحة والحسنة ، على شرط أن تتماشى مع روح المجتمع الإسلامي ، ولا تناقض جانباً عقدياً أو شرعياً ، لأن القاعدة : التشدد فيما يتعلق بالعقيدة والشريعة ، كما قال الدكتور أكرم ضياء العمري في المجتمع المدني.

ومن ناحية ثانية إذا كان أهل الحديث يتساهلون في الرواية عن الضعفاء إن كانت رواياتهم تؤيد أحاديث صحيحة موثقة : فلا بأس إذاً من الأخذ بهذا الجانب في التاريخ ، وجعله معياراً ومقياساً إلى تحري الحقائق التاريخية ومعرفتها .
ومن هذا المنطلق تتخذ الأخبار الصحيحة قاعدة يقاس عليها ما ورد عند الإخباريين مثل سيف بن عمر والواقدي وأبي مخنف .. وغيرهم ، فما اتفق معها مما أورده هؤلاء تلقيناه بالقبول ، وما خالفها تركناه ونبذناه .

- معرفة حدود الأخذ من كتب أصحاب الأهواء والفرق :

اعتنى أهل السنة بضبط مذهب الفرق وأقوالهم لتعرف أحوالهم ومواقفهم ويكون المسلم على بينة منها ، فلا يخدع من قبلهم ، ولأجل هذا لابد للمؤرخ المسلم من التعرف على اتجاهات هؤلاء وعقائدهم ، لأن ذلك يمكنه من التعامل مع النصوص التي وأوردوها بما لديه من خلفية عن اتجاهاتهم وآرائهم ومواقفهم ، ثم يقارنها بغيرها من الآراء التي عند المؤرخين أو العلماء العدول الثقات .

وعلى ضوء المقابلة والمقارنة بين النصوص ينظر إلى تعصب الراوي من عدمه ، فمن لاحت عليه أمارات التحزب أو التحيز لنحلة أو طائفة أو مذهب لا يؤخذ منه في هذه الحال ، أما من لا يلحظ عليه التعصب – وإن كان من أهل البدع – وكان صدوقاً في نفسه معروفاً بالورع والتقوى والضبط تقبل روايته .

- مراعاة ظروف العصر الذي وقعت فيه الحادثة :

ينبغي أن نعلم أن بعض تلك الأحداث الواقعة في صدر الإسلام لا يبررها غير ظروفها التي وقعت فيها ، فلا نحكم عليها بالعقلية أو الظروف التي نعيش فيها نحن أو بأية ظروف يعيش فيها أصحاب تلك الأحداث ، لأن الحكم حينئذ لن يستند إلى مبررات موضوعية ، وبالتالي تكون نظرة الحاكم إلى هذه الوقائع غير مطابقة للواقع .

- استعمال المصطلحات الإسلامية :

تعد قضية المصطلحات من أشد العناصر أثراً وأهمية وخطورة في ثقافة الشعوب ، لأنه عن طريقها يتم تثبيت المفاهيم والأفكار ، ولأن المصطلحات بهذا القدر من الأهمية فإنه منذ أن تقرر في أوكار الصهيونية والصليبية تدمير الخلافة الإسلامية ، وأعداء الأمة الإسلامية يحرصون على تخريب الفكر الإسلامي وتشويه العقل المسلم من باب المصطلحات والمفاهيم .

فقد كان من تأثير الغزو الثقافي الأوربي للمسلمين أن شاعت بينهم مصطلحات ومفاهيم غريبة عن عقيدتهم وثقافتهم حتى كادت أن تختفي المصطلحات الإسلامية .

.....

المحاضرة السادسة

الخبر

كان الخبر وسيلة لمعرفة الحدث أو مجموعة الأحداث، ويعد التعبير عن فكرة التاريخ قبل الإسلام، أي أنه كان يعني مضمون التاريخ، لأن العرب لم يتداولوا التاريخ أو يؤلفوا فيه قبل الإسلام، مثلما تداولوه وألفوا فيه في الإسلام .

والخبر كان أحد علوم العرب قبل الإسلام، مثل الفقه، والأيام، والأنساب، والشعر، فكانت للعرب أخبار في مرحلة ما قبل الإسلام.

لذلك فإن الخبر أسبق من التاريخ عند العرب، وعرفوه قبل أن يعرفوا التاريخ بمدلوله الاصطلاحي.

ويتميز الخبر قبل الإسلام بارتباطه بالرواية الشفوية، بمعنى أنه لم يظهر بمظهر كتابي إلا في النقوش، وذلك يعود إلى قلة التدوين وشيوع الأمية في الحياة العربية، واعتماد العرب على الذاكرة في الحفظ، حتى لم تتوفر لأي شعب أو أمة ما كان لهم، وما عرفوا به من قوة الذاكرة .

فلما جاء الإسلام، أصبحت الأخبار ترتبط بالإسلام .. والظاهر أن رسالة الإسلام وخاصة في عصر الرسالة والراشدين، قد شغلت العرب عما كان لهم في جاهليتهم من أخبار، فصارت الأخبار في خدمة الإسلام، وخاصة فيما يتعلق بالحديث النبوي الشريف .

وبسبب قدم الخبر على الإسلام، أي على الحديث النبوي الشريف، فقد ظل للخبر كيان خاص به، حتى في أيام الأمويين والعباسيين، فظل يعرف بعلم الأخبار، وعرف رواة الأخبار ونقلتها بالإخباريين ، حتى إن بعض المصنفات المبكرة في التدوين التاريخي أخذت عناوين ابتدأت بـ(الإخبار) أو (إخبار) مثل : (الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري (ت : ٢٨٢ هـ) ، و(أخبار العلماء بأخبار الحكماء) لابن القفطي.

ظل الخبر في الثقافة العربية الإسلامية، يتمتع بأهمية كبيرة، على الرغم من أن التاريخ بمفهومه الحالى قد حجب الخبر وحجمه إلى حد ما.

وكان تعريف التاريخ لدى كبار مؤرخي الإسلام، عبارة عن خبر أو أخبار، رغم التطور الذي شهدته الكتابة التاريخية . فالمسعودي يعرف التاريخ بأنه : (علم من الأخبار)، وابن خلدون يعرفه بأنه : (ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل) .

وقد اعتبر الخوارزمي علم الأخبار أحد العلوم العربية الستة وهي : علم الكلام، وأصول الفقه، والنحو، والشعر، والأخبار، والكتابة .

يستطيع المرء أن يعين تاريخا محددا دقيقا لظهور مصطلح التاريخ كبديل عن الخبر، أي عندما ظهرت كلمة التاريخ بمعنى (كتب التاريخ) ، ويرى (روزنثال) أن كلمة التاريخ (كانت راسخة الكيان بهذا المعنى منذ القرن الثاني الهجري) . وهذا يعني أن المصطلح قد جاء تبعا للتطور الذي مرت به الأمة خلال حقبتين : ما قبل الإسلام، والمرحلة الإسلامية .

فالخبر كان المعرفة السائدة عند العرب قبل الإسلام، ثم استمر حتى بعد ظهور الإسلام، وظهر بأجلي صوره في مدونات الإخباريين، كما مر معنا، غير أن الخبر تبعا لحالة التطور، أصبح لا يفي بالمتطلبات الثقافية والحضارية، الأمر الذي سوغ ظهور التاريخ

واستخدامه فى التدوين التاريخى بديلا عن الخبر، الذي أخذ بالتراجع منذ القرن الثانى الهجرى.

ويستطيع المتتبع لنشأة التدوين التاريخي عند العرب المسلمين أن يلحظ بداية هذا التراجع للخبر منذ منتصف القرن الثانى الهجرى، وبداية شيوع كلمة (التاريخ) كعناوين لمصنفات كتبها إخباريون أو مؤرخون فيما بعد.

على أن المصطلحين قد تعايشا فترة من الزمن، بعد ظهور مصطلح التاريخ، فنجد في مؤلفات بعض الإخباريين تأليفا في كلا المصطلحين : فالهيثم بن عدي (ت : ٢٠٧ هـ) الذي ألف كتابا (في التاريخ على السنين) ولم يصلنا، ألف إلى جانبه كتابين هما : (أخبار الحسن ووفاته)، وكتاب (أخبار الفرس) .
كما كتب المدائني (ت : ٢٢٥) (كتاب أخبار أبي طالب)، و(كتاب خبر الحكم بن أبي العاص)، وكتاب (أخبار الشعراء)، و(خبر الجسر)، و(خبر القادسية)، إلى جانب (كتاب تاريخ أعمار الخلفاء)، و(كتاب تاريخ الخلفاء) إلخ .

الإخباريون

تعتبر حركة جمع التراث التاريخي وتدوينه ((جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الإسلامية)) التي جرى جمع شتاتها وتسجيل مادتها.

وأهم من ذلك ((تبويب العلوم)) وتصنيفها واستقلال بعضها عن البعض الآخر، وتحديد موضوعات كل علم ووضع أصول مناهجه.
وبطبيعة الحال شارك الإخباريون ـ شأنهم شأن غيرهم من المشتغلين بالعلوم الأخرى ـ في تلك الحركة، بأن جمعوا الروايات التاريخية من شتى مصادرها، من الوثائق الرسمية، والنقوش الأثرية ـ في القليل النادر ـ ورواة القصص، والنسابة، وشيوخ القبائل، فضلاً عن المصادر الأجنبية، ثم رتبوا تلك المادة بعد نقدها وتمحيصها، ودونوها على الورق في شكل كتب ومصنفات ورسائل.

وقد سبق إيضاح ما بذله كتاب السير والمغازي والمشتغلين بالقصص التاريخي والمهتمين بالتراث الإثنولوجي القبلي والشعوبي من جهود لتهذيب الكم المعرفي التاريخي الموروث عن العصور السابقة.
وواصل الإخباريون المسيرة، فانصب دورهم على جمع الأخبار كافة من مصادرها،

وعمت تلك الحركة الأمصار الإسلامية في المدينة والعراق والشام ومصر متمشية في ذلك مع العلوم الأخرى.

إن المصادر المتنوعة العديدة التي استقى منها الإخباريون مادتهم شاهد آخر على روعة إنجازهم في جمع المعلومات قبل تدوينها. وتعتبر الوثائق الرسمية ـ بطبيعة الحال ـ مصدراً مهماً للحصول على الأخبار.

وفي العصر الأموي تم تعريب الدواوين، وحفظت فيها سجلات تحوي وثائق متنوعة لعل من أهمها ما حفظ في ((ديوان الخاتم)) وديوان الجند، ومن الثابت أن بعض الإخباريين رجعوا إليها.
وشكلت الروايات الشفهية المتواترة، والمحفوظة في ذاكرة الرواة عن شتى الأخبار المتعلقة بالتراث التاريخي الإسلامي عصب ومحور عملية الجمع.

فقد انتشر الرواة في شتى أنحاء الإمبراطورية مع الهجرات العربية المواكبة لعمليات الفتوح شرقاً وغرباً، وكثيرون من هؤلاء المهاجرين استقروا في البلاد المفتوحة، فكانوا شهدي عيان لأحداث ووقائع عصرهم، ومنهم مَن كان من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين الذين أحاطوا علماً بأخبار الفترات السابقة وتناقلوها ورووها شفاهاً، لأن الأعمال المكتوبة ـ قبل الصحوة ـ كانت نادرة وغير ذات بال.

ونظمت الإقامة في البلاد المفتوحة على أساس قبلي، لذلك لم يدخر الإخباريون وسعاً في الاتصال بشيوخ القبائل ورواتها لجمع تراثها النسبي واللغوي، فضلاً عن أدوارها في الحياة العامة. لذلك أخطأ البعض حين قصر دور الإخباريين على مجرد جمع وتدوين التراث القبلي في حد ذاته، والصواب أنهم اتصلوا بالقبائل لجمع الأخبار، والاعتماد عليها في وضع تواريخ تحفل بشؤون الأمة واتصال تراثها وترابطه.

وقد اتجهت جهود الإخباريين نحو ((التاريخ)) بمفهومه الصحيح، فسيف بن عمر مثلاً ربط بين ((الردة)) و ((الفتوح))، وكان موضوع الردة من قبل له رواياته المتعلقة به، كما أن الفتوح لم تعالج من قبل في وحدة عضوية متكاملة. أما عوانة بن الحكم فقد وظف أخباره في تصنيف تاريخ للإسلام حتى خلافة عبدالملك. وأبو مخنف استخدم مادته في التأريخ لصدر الإسلام، ثم أرخ ((لأخبار صفين)) على حدة، ثم حوادث العراق حتى نهاية العصر الأموي. وتوج المدائني جهود الإخباريين ـ وبزّهم جميعاً ـ حين أرخ التاريخ العربي برمته

من الجاهلية حتى مطلع القرن الثالث الهجري، وفي جوانبه السياسية والاجتماعية والأدبية كافة.

وبالإضافة إلى جمع الأخبار من الوثائق والرواة، عول الإخباريون على المصادر الأجنبية لاستقاء أخبارهم. وبديهي أن تفيد الأعمال المترجمة في إثراء الفكر التاريخي في موضوعه ومنهجه.

وفي هذا المجال تبرز التأثيرات الفارسية أكثر من غيرها، فقد ترجم ابن المقفع كتاب ((خدا ينامه)) إلى العربية وسماه ((سير الملوك))، فاستمد منه الإخباريون معلومات ثرية عن أخبار الفرس وبعض تواريخ اليونان. كما نقل إلى العربية ((الأيني نامة)) وهو كتاب في التقاليد والرسوم، ألهم الإخباريين تصورات واضحة عن طبيعة الحكومة العباسية التي استقت نظمها ورسوم بلاطها من التقاليد الساسانية.

كما أعتمد الإخباريون على قدر ضئيل من المعلومات التاريخية المستقاة من الترجمات السريانية، وأفادوا منها في معرفة الأخبار البيزنطية على وجه الخصوص.

وقد ادعى بعض الدارسين بوجود تأثيرات هللينية في منهجية الفكر التاريخي الإسلامي وخاصة فيما يتعلق بطريقة الكتابة الحولية، وهذا خطأ كبير فالثابت أن التراث التاريخي اليوناني لم تجر ترجمته في عصر الصحوة، كما كان الفكر التاريخي البيزنطي في حالة من التخلف لارتباطه باللاهوت.

لم يدّخر الإخباريون وسعاً في استقاء أخبارهم من المصادر بكافة أنواعها و التي ساعدت الصحوة العلمية الإسلامية على توفيرها، وتقديم الإمكانات المتاحة لتذليل عقباتها.
كذلك قدمت الصحوة تسهيلات أكيدة فيما واكب ذلك من تدوين هذا الكم المعرفي الزاخر، إضافة إلى الاهتمام بصناعة الورق وظهور الوراقين وتقدم أساليب النسخ وتقنية التجليد، ونشاء المكتبات والتنافس في اقتناء الكتب والمخطوطات، كل ذلك ساعد الإخباريين على تتويج جهودهم في مرحلة الجمع بتصنيف كتب ورسائل تحوي ما جمعوا بعد دراسته وبحثه.

وهناك بعض الانتقادات التي وجهت إلى عملية التدوين، منها ظاهرة التكرار للحادثة الواحدة في أكثر من موضوع، وبروايات وأسانيد مختلفة في المصنف الواحد، كذلك

الأخطاء في الأسماء والأعلام والخلط بين الأشخاص في نسبة الخبر، وكذا الخلاف حول الأعداد وتقديراتها.

ولكن بالنظر إلى الصعوبات التي واجهت الإخباريين، والضغوط التي تعرض لها بعضهم، والإغراءات التي أسالت لعاب البعض الآخر، وأخيراً الصراع الاجتماعي والسياسي في بعض الأوقات أثناء جمعهم للأخبار ، لوجدنا أن هذه الانتقادات لا تقارن بحجم انجازات الإخباريين . كما أن هذه الموانع والعقبات تعترض طريق المشتغلين بدراسة التاريخ أيضا.

وأهم ما يلاحظ في هذا الصدد، أنه برغم نهل الإخباريين من مصادر ومراجع تكاد تكون موحدة، وبرغم تناولهم موضوعات بعينها، فقد اختلفوا في الرؤى والتفسيرات.

وتظهر بوضوح روح التسامح، وعدم الانحياز أو التعصب بين هؤلاء الإخباريين، فقد اعتمد أبو مخنف على روايات قبيلته ـ الأزد ـ إلى جانب روايات القبائل الأخرى كتميم وهمدان وطيء وكندة، فضلاً عن روايات أهل المدينة، متجاوزاً نزعة التعصب القبلي. ورغم أنه من الشيعة لم يتقاعس عن تقصي أخبار الخوارج، برغم العداء التقليدي بين الخوارج والشيعة. والشيء نفسه يقال عن نصر بن مزاحم حيث يزخر كتابه، ((أخبار صفين)) بمعلومات جد هامة عن الخوارج وموقفهم إزاء التحكيم.

.....

المحاضرة السابعة

كتابة السير في العصر الإسلامي

سيرة الرسول (ص)

اختلفت منهجية المُؤلّفين في السيرة ، لأسباب متعددة ، منها غلبة فن من الفنون على العالم أو الكاتب في السيرة فمثلاً أغلب المحدِّثين والحفاظ الذين كتبوا في السيرة كتبوا بمنهجية أهل الحديث ، وبعضهم حاكم السيرة كما يحكم على الأحاديث في الأحكام والعقائد ، وبعضهم غلب عليه الفقه أو العربية أو غيرها من العلوم والفنون ، فتساهل في محاكمة نصوص السيرة.

أولاً منهجية المحدِّثين:

والمحدِّثون هم مَن التزم بقواعدِ التحديثِ في كتابةِ السِّيرةِ النَّبَويَّةِ، و تظهرُ التجزئةُ للأحداثِ في كتاباتِ المحدِّثين الذين التزمُوا بقواعدِ الرِّواية وتمييز الأسانيدِ عن بعضِها، وربما قطَّعوا الرِّواية الواحدةَ ، فخرَّجُوا بعضَها في مكانٍ وبقيَّتَها في مكانٍ آخرَ تبعاً لموضوعاتِ (تراجم) مؤلَّفاتهم ، كما يظهرُ ذلكَ جَلياً في قِسم (المغازي) الذي كتبَهُ الإمامُ البُخاريُّ - رحمه الله - ضمن صحيحِهِ ، ويظهر بصورةٍ أخفَّ في صحيح الإمامِ مُسلمٍ بسبب عنايتِهِ الخاصَّةِ بسردِ المتُونِ الطَّويلةِ وتحرير ألفاظِها ؛ لأنَّهُ أقلُّ عنايةٍ من البُخاريِّ بتقطيعِ الرِّوايةِ حسب تراجمِ كتابِهِ.

وهناك فريق أخر التزم الصِّحَّة في رواياتِهِ وأحاديثِهِ كالبُخاريِّ ومسلمٍ ، ومنهم مَن أسند ولم يلتزمِ الصِّحَّة وهم السَّوادُ الأعظمُ من المحدِّثين والمُؤرِّخينَ.

الإسناد وأهميته:

ولاشكَّ أنَّ للإسنادِ عند المسلمينَ شَأناً كبيراً ومكاناً خطيراً ؛ فبه يُعرف حالُ الرَّاوي والرِّواية، وبه تقوم الحُجَّةُ بأحكام الشريعة وتفصيلاتها؛ وكان أول مَن أدرك قيمة هذا الأمر وخطورتَهُ الصَّحابة أنفسُهم ؛فتثبَّتوا في الرِّوايةِ وقبولِها ، ولكنْ لغلبةِ التَّقوى والوَرَع عليهم وانعدام الكَذِبِ في تلكَ الأيَّامِ لم يكنْ أحدُهم يتهمُ الآخرَ بالكذبِ أو الزِّيادةِ في الحديثِ . وما وقع منهم مِن خطأ ، فإنَّما كانَ من باب الخطأ الذي لا يكاد يسلمُ منه أحدٌ،

باعتباره مجتمع الصَّحابة الذي كان يسودُهُ الصِّدقُ والأمانةُ، فكانَ الأمرُ لا يحتاجُ إلى البحثِ في عدالةِ الرَّاوي ، إذِ الصَّحابةُ كلُّهم عُدُولٌ فيما يروونه وينقلونه عن النَّبيِّ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ -.

واستمرَّ هذا حالهُم مع السُّنَّةِ حتَّى وقعتِ الأحداثُ الأليمةُ التي كان من نتائجِها أنْ قُتل الإمامان: عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وغيرهما من الصَّحابة - رضي الله عنهم - .

وظهرتِ الفِرقُ المنحرفةُ التى أعطتْ لنفسِها حقَّ تفسيرِ النُّصوصِ من الكتاب والسنة بما يتوافقُ مع آرائِها وأهوائِها، ولمَّا أعيا البعضَ ذلكَ عمدُوا إلى وضعِ الحديثِ على النَّبيِّ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ - لتقويةِ مذاهبهم وبدعِهم.

عندئذٍ قام الصَّحابةُ - رضي الله عنهم - بواجبهم في الدِّفاع عن السُّنَّةِ فلم يعودُوا يقبلونَ الحديثَ من كلِّ أحدٍ، بلْ أصبحُوا يعتنونَ بالنَّظر في حالِ الرَّاوي. قالَ ابنُ سِيرين: لم يكونُوا يسألونَ عن الإسنادِ ، فلمَّا وقعتِ الفِتنةُ ، قالُوا: سَمُّوا لنا رجالَكُم، فيُنظر إلى أهلِ السُّنَّةِ فيُؤخذُ حديثُهم ، ويُنظرُ إلى أهلِ البدَعِ فلا يُؤخذُ حديثُهم".

وهذا المنهج أعمُّ مِن أنْ يكونَ مُتعلِّقاً بأحاديثِ النَّبيِّ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ - ؛ بل هو منهجٌ لكلِّ قولٍ أو فعلٍ له خَطَرُهُ وأهميَّتُهُ في حياةِ المسلمينَ.

ولقدْ سارَ المُؤلِّفون والمؤرخون على ذلك المنهجِ – منهج الإسناد – وكان منهم مَن التزم الصِّحَّة في كلِّ ما يرويه - كما ذكرنا - كالبُخاريِّ ومسلمٍ ، ومنهم مَن لم يكن يلتزمْ الصِّحَّة كغيرهم من المحدِّثين .

لقد اعتنى أصحابُ مدرسةِ الحديثِ بالسِّيرةِ النَّبَويَّةِ ؛ سواء بالتَّأليفِ المُستقِلِّ أو بتخصيصِ بعضِ الأبوابِ في المسانيدِ والجوامع والسُّنن للسِّيرةِ النَّبَويَّةِ والشَّمائلِ والدَّلائلِ والمغازي وأحاديثِ أحكامِ الجِهَادِ ومكانة الصَّحابةِ وفضائلِهم.

وقد لقيتْ السِّيرةُ النَّبَويَّةُ في هذه الكتبِ العِنَايةَ الكثيرةَ من النَّقدِ والتَّحقيق ؛ لأنَّها نُقلتْ بالأسانيدِ وخضعتْ لموازين الجرح والتَّعديلِ وعُرفتْ أحوالُ الرِّجال الذين رووها، ففي الصَّحيحين كُتُبٌ مُستقلة للمغازي والسِّيَرِ والفضائلِ ،عدا الأخبارَ المنثورةَ في مختلفِ الموضوعاتِ والأبوابِ المرتبة على الأحكامِ الفقهيةِ ، وبخاصةٍ بابُ الجهادِ وأحكامه.

وفي غيرهما من كتبِ السُّنن مثل سُنن التِّرمذيّ وأبو داود وابن ماجه والنسائي ومستدرك الحاكم وصحيح ابن خزيمة وصحيح ابن حبان ومصنَّف عبد الرزاق ومسند الإمام أحمد وموطأ مالك ومسانيد عَبد بن حمُيد والحُميديِّ والطَّيالسيِّ والسُّنن الكبرى للبيهقيِّ ومعاجم الطبرانيِّ وغيرها من دَوَاوين السُّنَّةِ، فإنَّهُ لا يخلُو كتابٌ من هذه المدوَّناتِ الحديثة من أخبار السِّيرةِ والمغازي وما يُلحق بها من تاريخ الخلافةِ الرَّاشدةِ والفِتن والحَوادثِ العِظام التي أخبر عنها الرَّسُولُ -عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ.

ولكنْ ينبغي ملاحظةُ منهج المحدِّثين عند التَّعامل مع الرِّوايةِ التَّاريخيةِ، فهُم يتساهلُون في روايةِ الأخبارِ التَّاريخيةِ، كما نلاحظُ عند ثِقاتِ المُؤرِّخين مثل محمد بن إسحق وخليفة بن خيَّاط والطَّبريِّ حيث يُكثرون من الأخبار المرسَلة والمنقطعة. كما أنَّ الطَّبريَّ يُكثرُ النَّقلَ عن رُواةٍ في غايةِ الضَّعفِ مثل هشام بن الكلبي وسيف بن عُمر التميميِّ ونصر بن مُزاحم وغيرهم.

ولا شكَّ أنَّ عدمَ تمحيص المُؤرِّخين للأخبار كما فعلُوا في الحديثِ، واكتفاءَهم بإلقاء العُهْدةِ على الرُّواةِ المذكورينَ في أسانيدِ الرِّواياتِ ألقى عِبْئاً كبيراً على "المُؤرِّخ المعاصر المسلم"؛ لأنَّه يحتاجُ إلى بذلِ جُهْدٍ ضَخْمٍ للوصولِ إلى الرِّواياتِ الصَّحيحةِ بعد فهمٍ وتطبيق منهج المحدِّثين، وهو أمرٌ لم يعُدْ سهلاً ميسوراً كما كان بالنِّسبةِ لخليفة بن خيَّاط أو الطَّبريِّ بسبب تضلُّعِهم في مَنَاهِجِ المحدِّثينَ وطرق سَبْرِهم للرِّواياتِ وتمييزها، وعلى أيَّةِ حالٍ فنحنُ لا نبخسُ قدامى المُؤرِّخين حقَّهم وفضلَهم؛ فقد جمعُوا لنا المادةَ الأوليَّة بالأسانيدِ التي تُمكننا من الحُكْمِ عليها ولو بَعْدَ جُهْدٍ وعَنَاءٍ.

منهجيةُ المُؤرِّخينَ:

لقدْ سلكَ المُؤلِّفونَ في التَّاريخ مَنهجينِ مُتقاربين في ترتيبِ كتبهم، فطائفةٌ اتخذتِ التَّنظيمَ الموضوعيَّ مع مُراعاةِ التَّرتيبِ الزَّمنيِّ في سَوقِ الموضوعات سواء في تواريخ الأمم السَّابقةِ أو التَّاريخ الإسلاميِّ بعد البعثةِ النَّبويَّة.

وطائفةٌ اتَّبعتِ التنظيمَ الموضوعيَّ في تاريخ ما قبلَ البعثةِ النَّبويَّة لعدمِ وجودِ تاريخٍ زمنيٍّ ثابتٍ ومُستمرٍّ، ولكنَّها إذا جاءتْ للتَّاريخ الإسلاميِّ رتَّبتْ أحداثَهُ حسبَ السَّنواتِ الهجريةِ وهو المعروفُ بالتَّاريخ الحوليِّ، حيث يسردُ حوادثَ كلِّ سنةٍ هجريةٍ على حِدَةٍ، ثُمَّ التي تَلِيها وهكذا، مُرتَّب على التَّسلسلِ الزَّمنيِّ دُونَ النَّظرِ إلى التَّسلسلِ الموضوعيِّ .

وقد سلك كلُّ واحدٍ من المنهجين مجموعةً من المُؤرِّخينَ المسلمينَ.

- فمِن الذين اتَّبعُوا منهجَ التَّرتيبِ الموضوعيِّ: أبو حنيفة الدِّينوَريُّ، ومِن الذين اتَّبعُوا المنهجَ الحوليَّ: خليفة بن خيَّاط ومحمد بن جَرير الطَّبريُّ.

منهجيةٌ مَن جَمَعَ بين صِفتي المُؤرِّخ والمحدِّث:

القسم الثالث من المناهج منهجيةُ مَن جمع بين طريقةِ المُؤرِّخين وطريقةِ المحدِّثين. فقد جمعَ بعضُ المُؤلِّفين بين صِفتي المحدِّثِ والمُؤرِّخ مثل محمد بن إسحاق وخليفة بن خيَّاط، ويعقوب بن سُفيان، ومحمد بن جَرير الطَّبريِّ، وهؤلاء أفادُوا منهجَ المحدِّثين بالتزامِ سَرْدِ الأسانيدِ ومُحاولةِ إكمالِ صُورةِ الحادثِ عن طريق جمع الأسانيدِ ، أو سردِ الرِّواياتِ التي تُشكِّلُ وحدةً موضوعيةً تحتَ عناوينَ دالّة .

وهذا المنهجُ الذي سَلَكَهُ ابنُ إسحاق حاولَ أنْ يجمعَ فيه بين منهج المحدِّثين القائم على الأسانيدِ لغرضِ التَّوثيق العلميِّ، وبين منهج الإخباريينَ المتحررينَ من الالتزامِ بالأسانيدِ التي كانتْ سِمَةَ العلمِ والمعرفةِ في ذلكَ العصر، ولعلَّهُ كانَ يهدف إلى إخراج السِّيرةِ النَّبَويَّةِ في صُورةٍ مُترابطةِ الأجزاءِ، مُتسلسلةِ الأحداثِ ليسهلَ على النَّاس حفظُها، وقد لقيتْ سيرتُهُ قبُولاً عندَ عامَّةِ المسلمين .

وجاء مِن بعدِ ابنِ إسحاق الواقديُّ وابنُ سعد.

وقد تقدَّمَ الواقديُّ خُطوةً على منهج ابنِ إسحاقَ في الابتعادِ عن طريقةِ المحدِّثينَ وعدمِ الالتزامِ بالأسانيدِ وألفاظِ الرُّواةِ وصاغَ المغازيَ في نَسَقٍ واحدٍ مُترابطِ الأحداثِ في أسلوبٍ قصصيٍّ.

وقد نهجَ مُؤلِّفو هذه الكتبِ منهجَ المحدِّثين في الرِّوايةِ: مِن ذِكْرِ الأسانيدِ، والنَّظر في الرُّواةِ، وإنْ لم يلتزمُوا ما التزمَهُ المحدِّثون من التشددِ في التَّعديلِ والتَّجريحِ، وقبولِ الرِّوايةِ. فغرضُ المحدِّثِ ذكرُ الأحاديثِ التي هيَ مَنَاطُ معرفةِ الحلالِ والحرامِ، ومِنْ ثَمَّ كانَ لابُدَّ مِنَ التشددِ في الرِّوايةِ، وغَرَضُ المؤلِّفِ في السِّيَرِ والتَّواريخِ ذِكْرُ أخبارٍ ليستْ مَنَاطَ الحلالِ والحرامِ غالِباً، فمِنْ ثَمَّ تساهلُوا.

يمكن الإفادةُ بصورةٍ واسعةٍ من كتب الحديثِ في دراسةِ عصرِ السِّيرةِ النَّبَويَّةِ والخلافةِ الرَّاشدةِ، لأنَّ كتبَ الحديثِ خُدمتْ أكثرَ من كتبِ السِّيرةِ والتَّاريخ من قِبل النُّقَّادِ، فمثلاً قد

تميَّز صحيحا البُخاريِّ ومسلمٍ، وعُرفَ أنَّ كلَّ ما فيهما صحيحٌ بعد الدِّراساتِ النَّقديةِ التي قام بها حُفَّاظٌ كِبارٌ قدامى ودارسون مُعاصِرون .

إنَّ كتبَ الحديثِ تحوي قدراً كبيراً من أخبارِ السِّيرةِ وإنْ كانت لا تُغطّي كلَّ أحداثِها، ومن هنا تبرزُ أهميةُ النقد الحديثيِّ لرواياتِ كتبِ السِّيرةِ والتَّاريخ.. فكبارُ المحدِّثين أمثالُ الحافظِ ابن سَيِّدِ النَّاس في كتابهِ (عُيُون الأثر في المغازي والشَّمائلِ والسِّيَر) والحافظُ الذَّهبيُّ في كتابهِ (تاريخ الإسلام) عندما كتبا السِّيرةَ النَّبويَّةَ اعتمدا على الكتبِ السِّتَّةِ (البُخاريِّ ومسلمٍ وأبي داودَ والتِّرمذيِّ والنَّسائيِّ وابن ماجه)، لكنَّهما لم يتمكَّنا من الاستغناءِ عن كتبِ السِّيرةِ والتَّاريخ. إنَّ اشتراطَ الأمانةِ والثقة والدِّينِ في المُؤرِّخ ضروريٌّ لقبولِ شهادتِهِ

لاشكَّ أنَّ اشتراطَ الصِّحَّةِ للحديث في كلِّ روايةٍ تاريخيةٍ نريدُ قبولهَا فيه تعسفٌ؛ لأنَّ ما تنطبقُ عليه هذه الشُّروطُ لا يكفي لتغطيةِ العصورِ المختلفةِ للتَّاريخ الإسلاميِّ، مِمَّا يُولِّدُ فجواتٍ في تاريخِنا، وإذا قارنا ذلكَ بتواريخِ العالمِ فإنَّها كثيراً ما تعتمدُ على رواياتٍ مُفردةٍ أو مُؤرِّخينَ مجهولينَ، بالإضافةِ إلى ذلكَ فهي مليئةٌ بالفجواتِ.. لذلكَ يكفي في الفتراتِ اللَّاحقةِ التَّوثقُ من عدالةِ المُؤرِّخ وضبطِهِ لقبولِ ما يُسجِّلُهُ مع استخدامِ قواعدِ النَّقدِ الحديثيِّ في التَّرجيح عند التَّعارضِ بين المُؤرِّخينَ.

المنهج الموضوعي:

وهو أخذُ موضوعٍ من مواضيعِ السِّيرةِ، والكتابةُ عنْهُ ؛كمَنْ يكتبُ في الدَّلائلِ أو الشَّمائلِ أو العظاتِ والعِبَرِ أو دراسة غزوةٍ من الغَزَواتِ....إلخ وإمَّا أنْ يُسندَ الكاتبُ ما كتبَهُ أو لا يُسنده. ومن المؤلَّفاتِ في الدَّلائل كتاب "دلائل النبوة" لأبي نُعيم ، و"دلائل النبوة" لأبي زُرعة الرازيِّ، وغير ذلك. ومن المؤلَّفاتِ في الشَّمائلِ كتابٌ لمحمد بن عيسى التِّرمذيِّ في "الشمائل النَّبويَّة" مرويٌّ بالأسانيدِ على طريقةِ المحدِّثينَ .

والجدير بالذكر أن هناك مناهجَ منحرفة في كتابةِ السِّيرةِ النَّبويَّةِ كمنهجيةِ المستشرقينَ ومنهجية التغريبِ وكذلك منهجية المدرسةِ الإصلاحيةِ، وهذه المناهج لم يكن هدفها الوصول إلى الحقيقة التاريخية بقدر تشويه الحقائق المتعلقة بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتحريفها لأهداف دينية وسياسية .

.....

المحاضرة الثامنة

تطور الكتابة التاريخية في العصور الإسلامية

يشكل علم التاريخ في الثقافة العربية والإسلامية عملاً علمياً وأدبياً وفنياً متميزاً يهتم بالماضي الإنساني ويرتبط بالمنهج الإسلامي في نشأته وتكوينه .

واختلطت نشأة علم التاريخ عند المسلمين بعلم الحديث من حيث موضوع البحث ومنهجه .

تعددت الآراء حول نشأة الكتابة التاريخية المحلية في العالم الإسلامية وبواعث نموها ومظاهر انتشارها بعامة، وفي المشرق الإسلامي بخاصة، فهذا النوع من الكتابة هو وليد الشعور بالقومية، وتعبير صادق عن ارتباط المؤرخ بإقليمه واعتزازه بوطنه، كما أن ظهور هذا النمط عند المؤرخين المسلمين يرجع إلى الاتصال الحضاري والامتداد التراثي بوقوفهم على النماذج والمؤلفات الخاصة بالمدن التي تم فتحها، أو عملت الدولة الإسلامية على جمع معلومات عنها، كما هي الحال في تواريخ أنطاكية وروما والقسطنطينية.

بينما يرى البعض أن أقدم الكتب الإسلامية المحلية المعروفة نشأت في العراق وليست في الشام، ومن المعروف أن القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى، شهد مولد الكتابة التاريخية المحلية بشكل واضح بسبب انتشار حركة الترجمة إلى العربية، وأصبح في متناول علماء المسلمين معرفة إسهامات أقرانهم في اليونان وبلاد الفرس والهند وغيرها من الحضارات، فساعد ذلك على نقل التجارب والمناهج التي امتلكتها الحضارات السابقة

لعلماء المسلمين الذين قاموا بنقلها وأضافوا عليها، فحدث الامتزاج الفكري الذي كان من نتيجته الاستمرارية والتواصل العلمي .

ويرى البعض الأخر أن للعامل السياسي أثره في ظهور الكتابة التاريخية المحلية عند المسلمين، حيث كانت الخلافة الإسلامية على مدى قرنين من الهجرة تعبر عن الوحدة السياسية والإدارية للعالم الإسلامي، وتدور في فلكها من الناحية الإدارية الولايات في المشرق الإسلامي، وخاصة بعد أن استقرت الفتوحات الإسلامية وانتشر الإسلام بين أهالي تلك الأقاليم الجديدة، فأثر ذلك على المناخ السياسي السائد في الدولة العباسية ونظامها في الحكم، فتحولت إلى دولة إسلامية ذات انتماءات عنصرية وسياسية مختلفة.
ومن أسباب ظهور الكتابة الإقليمية عند المسلمين ، الدويلات المستقلة ونظم حاكمة وافقت الخلافة على وجودها مضطرة .

فواكب هذه الدول توجه ثقافي يميل إلى الإقليمية أو المحلية، خاصة بين الفرس فانطبع ذلك على الكتابة التاريخية، حيث كانت الأسر الحاكمة هي التي تطلب من بعض المؤرخين كتابة تواريخ الأقاليم وبعض المدن، بهدف تسجيل الإنجازات السياسية والحضارية التي تمت في فترات حكم هذه الأسر، وهذه النوعية من الكتب كانت بطبيعة الحال مطبوعة بطابع الذاتية إلى حد كبير.

ويضاف إلى ذلك أن توزيعًا جديدًا للمدارس التاريخية قد ظهر بعد خمود جذوة مدرسة بغداد المسيطرة حتى أوائل القرن الرابع الهجري، حيث إن الأقاليم الجديدة من العالم الإسلامي دخلت بدورها ميدان التأليف التاريخي، فقد وجد في البلاد المختلفة من شعروا بهذه الحقيقة، وبأن لديهم من الأخبار والأحوال ما يستحق التسجيل، وفي ذلك الكثير من النزعة الوطنية من جهة، ومن نزعة التقدير للأخبار المحلية المشهودة مقابل الأحداث البعيدة غير المشهودة، وهذا هو مبرر تأليف عدد من التواريخ المحلية الإقليمية داخل العالم الاسلامى .

ومن أسباب الكتابة التاريخية المحلية التفاخر بحمل الروايات والحديث، والتنافس بين الأمصار في الرواة والرجال والسند وكثرة الحفاظ، فكثير من المؤلفين أعطوا المبررات لإقدامهم على التأليف لأقاليمهم أو مدنهم رغبة منهم في إبراز علماء بلدهم وإثبات فضله، فبعضهم سمى هذا النوع من التاريخ فضائل مثل «كتاب فضائل بلخ» أو «محاسن أهل بلخ» لأبي زيد البلخي من رجال القرن الرابع الهجري، وبعضهم سماه بشكل أدق

«طبقات المحدثين»، مثل طبقات المحدثين بأصفهان لأبي الشيخ الأنصاري عبدالله بن حيان (٣٩٦هـ/١٠٠٥م)، أو تاريخ مدينة بغداد أو بخارى.

كما أن الرحلات كرحلات الحج والوفود وحب الاستطلاع والتجسس، والدعوة، كلها كانت تسهم في كسر الطوق الإقليمي المحلي عن التواريخ، وتدفعها رغم عناوينها الإقليمية أحيانًا واهتماماتها المحلية إلى الإحاطة بأخبار بعض أقاليم العالم الإسلامي أو كلها.

وقد أدى الازدهار الاقتصادي الذي تمتعت به معظم بلدان المشرق الإسلامي في القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة، التاسع والعاشر والحادي عشر للميلاد، بتقدم الزراعة والصناعة والتجارة مما أدى إلى تمكين السلطات المحلية وأمراء الأقاليم من منح العلماء والمؤرخين الذين كانوا معهم الهدايا والهبات، مما ساعد على انتشار كتب التواريخ الإقليمية.

أما العامل الأخير فيرتبط بالعنصر الاجتماعي والنفسي، حيث يميل الإنسان بطبعه إلى مسقط رأسه في الاهتمام بالتواريخ المحلية في كل الأزمنة تعبيرًا عن شعور الجماعة، وقد سيطر الفكر الإقليمي المحلي على انفعال المؤرخ، فكان نتاج ذلك العديد من كتب الأقاليم والمدن، حيث كانت الظروف السياسية بالمشرق الإسلامي بأقاليمه المتعددة أشبه بمجتمعات منفصلة سياسيًا وعسكريًا في القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة.

ويمكننا أن نميز في كتابة التاريخ المحلي الإقليمي بين نوعين واضحي المعالم، ولكنهما متصلان، أحدهما دنيوي والثاني ديني.

- التاريخ المحلي الدنيوي:

ترجع أقدم أمثلة كتب التاريخ المحلي الدنيوي الإسلامية إلى العراق، وأقدم ما تم تأليفه في تاريخها «تاريخ بغداد» لأحمد بن أبي طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٨هـ/٩٠٠م، وهو يشكل فصلا خاصا بخطط بغداد، ثم تتابعت المؤلفات المحلية الدنيوية عن مصر والشام والأندلس وغيرها.

أما في فارس وبلاد ما وراء النهر فقد ظهر التاريخ المحلي الدنيوي بصورة واضحة، باعتباره مظهرًا من مظاهر القومية الفارسية أو التركية والتي عرفت بالتعصب، والتي كان لها أثرها في الدراسات التاريخية، أو سعى أصحابها إلى تشويه تاريخ العرب فاهتموا بالتوسع في الثقافة الفارسية والتراث الفارسي، ومثال لذلك التاريخ المحلي الدنيوي عن

خراسان كتاب «تاريخ أصفهان» لحمزة الأصفهانى، و«تاريخ قم» للحسن بن محمد القمي، و«محاسن أصفهان» للمافروخي.

اهتمت الكتب الدنيوية في الغالب بطبوغرافية المدينة وتاريخها القديم وعادات أهلها وتقاليدهم، فكان الكتاب يتألف من مقدمة تدور حول تخطيط المدينة وعمرانها وأحيائها، أما مادة الكتاب فكان عمادها الأساسي دراسة الشخصيات التي كان لها مكانة مرموقة في البلد أو الإقليم، وإن كانت هذه الشخصيات اقتصرت في بادئ الأمر على رجال الدين، ثم تطورت وشملت كل الشخصيات البارزة في الإقليم من أدباء وعلماء وتجار وأعيان، وأقدم ما وصل إلينا من هذا النوع من التاريخ كتاب «تاريخ واسط» لأبي الحسن أسلم بن سهل بن حبيب الرزاز المعروف باسم بخشل الواسطي ٢٨٨هـ/٩٠٠م ، وهذا الكتاب يتضمن تاريخ واسط وأطرافها وعلماء الدين فيها وبعض الرواة.

- التاريخ المحلي الديني:

الكتب التي ظهرت في هذا المجال استهدفت تمكين القراء من الاطلاع على التاريخ الديني لهذه المدن، ومثال لذلك كتاب «تاريخ بخارى» للنرشخي، حتى تصور بعض المؤرخين أن معظم كتب الأقاليم خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة أقرب لطابع المؤلفات الدينية منها إلى المؤلفات التاريخية، ومما جعلهم يتصورون ذلك افتتاحيات الكتب وما كانت تضمه من أحاديث نبوية وأقوال الصحابة في مدينة ما.

وفي القرن الرابع الهجري أصبحت التراجم مرتبة على حروف الهجاء، وكان ذلك الأساس الذي اعتمدت عليه كتب التاريخ المحلي الديني، وأقدم كتاب تاريخي محلي ديني رتب على نظام المعاجم هو «تاريخ علماء الأندلس» لأبي الوليد عبدا لله بن القرضي الأندلسي المتوفى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م، وأيضًا اتبع الخطيب البغدادي الذي عاش في القرن الخامس الهجري في كتابه تاريخ بغداد طريقة المعجم في ترتيب أسماء التراجم وأسماء آبائهم، واتبع مؤرخو المشرق الإسلامي هذا النهج في كتبهم عن التراجم.

وقد ظلت اللغة العربية هي اللغة الأدبية الوحيدة في العالم الإسلامي بأسره على مدى القرون الثلاثة الأولى للهجرة، سواء في الكتابة التاريخية أو غيرها، وذلك راجع لوحدة العالم الإسلامي وتماسكه، وتشجيع الخلفاء للعلم والعلماء، كما أنها لغة القرآن الكريم، وقد حرص الجميع على تعلمها، خاصة الشعوب التى دخلت فى الإسلام كالفرس والروم والمصريين وغيرهم.

.....

المحاضرة التاسعة

استمرت الخلافة العباسية في المشرق من سنة ١٣٢ إلى ٦٥٦ للهجرة أي لمدة ٥٢٤ سنة، و بقي للعباسيين بعد ذلك الخلافة بمصر إلى سنة ٩٢٣ للهجرة. من الطبيعي ان يكون العصر العباسي الأول أنسب العصور ملائمة للنهضة الثقافية، فقد بدأ الاستقرار فيه و أنتظم ميزان الأمة الاقتصادي، و كانت النهضة العلمية في العصر الأول تتمثل في تنظيم العلوم الإسلامية و الترجمة من اللغات الأجنبية. وقد وصلت العلوم الإسلامية درجة عالية من الدقة و التنظيم في العصر العباسي الأول من ١٣٢ إلى ٢٣٢ هـ.

الكتابة التاريخية في العصر العباسي

شهد هذا العصر تطورًا كبيرًا في الكتابة التاريخية؛ حيث سلك المؤرخون المسلمون فى كتاباتهم التاريخية طريقتين:

أولاً: التأريخ الحولي -وهو حسب السنين-: وفى هذه الطريقة يؤرخ للأحداث سنة بعد سنة، حيث كانت مختلف الحوادث تجمع فى كل سنة، ويربط بينها بكلمة "وفيها"، فإذا انتهت حوادث السنة الواحدة، انتقل المؤرخ إلى حوادث السنة التالية، فيستخدم الجملة الآتية "ثم دخلت سنة كذا" أو "ثم جاء فى سنة كذا".

ومن الذين كتبوا على هذه الطريقة محمد بن موسى الخوارزمي، وغيرهم. على أن الطبري هو أشهر من أرخ على هذه الطريقة، ووصلنا إنتاجه بكتابه التاريخي العظيم "تاريخ الرسل والملوك" المعروف أيضًا بتاريخ "الأمم والملوك" وهو أقدم مصدر كامل للتأريخ العربي، بدأه من الخليقة وانتهى فيه إلى سنة (٣٠٢ هـ)، ورتب حوادثه وفقا للمنهج الحولي، وقد اتبع الطبرى فى روايته للأخبار والحوادث طريقة الإسناد، توثيقًا للأخبار التي يكتبها، وهو بذلك متأثر إلى حد كبير بدراسته الأولى وثقافته كمحدث وفقيه ومفسر.وقد اتبع طريقة المنهج الحولي بعد الطبري عدد كبير من مؤرخي السنين، مثل ابن الجو زى .

ثانيًا: التأريخ حسب الموضوعات:

وهى التزام المؤرخ طريقة التأريخ إما للدول أو لعهود الخلفاء والحكام، وإما للسير أو للطبقات، فالكتابة هنا قوامها الأشخاص، بخلاف المنهج السابق القائم على ترتيب السنين.

التأريخ للدول:

يكتب المؤرخ هنا عن الأسرات الحاكمة أو الدول أو العهود، ومن أقدم المؤرخين المسلمين الذين كتبوا فى الدول وفى العهود: ابن قتيبة الدينوريّ فى كتابه "المعارف"، واليعقوبى فى تاريخه، وكان اليعقوبيّ مؤرخًا ورحالة.

وقد تأثر المسعودي في كتابته بكتابة اليعقوبى، فقد جمع الحوادث التاريخية تحت رؤوس موضوعات تتعلق بالشعوب أو الدول أو الأسرات أو الحكام. ويتميز هذا النظام في الكتابة التاريخية بالاهتمام الخاص بالمسائل الأخلاقية، والإدارية، وكذلك صفات الحاكم الخلقية والخلقية وأولاده ونسائه وموظفيه.

- التأريخ حسب الطبقات:

هو تأريخ إسلامي أصيل، جاء نتيجة طبيعية لفكرة الكتابة عن صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولذلك ارتبط التأريخ حسب الطبقات بعلم الحديث، والعلوم الدينية، ومن الكتب التي ظهرت في هذا العصر، طبقات الشافعية للسبك، وطبقات الصوفية للسلمي وغيرهما. ثم كتب في ميادين أخرى مثل: طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، وطبقات الشعراء لابن المعتز، وطبقات النحويين للزبيري، وغير ذلك.

- التاريخ حسب الأنساب:

ظهر من النسابين فريق اهتم بإحصاء فضائل قريش، وذكر مآثرهم، ومزاياهم،وأقدمهم مصعب الزبيري الذي صنف كتابيّ "النسب الكبير" و"نسب قريش" ثم كان الزبير بن بكار بكتابه "نسب القريشيين" ثم البلاذريّ الذي ألف كتابًا بعنوان "أنساب الأشراف" وهو كتاب عنى فيه بدراسة نبلاء العرب أى الخلص منهم، ولقد وجدت الكتابة في الأنساب في المغرب الإسلامي و الأندلس أرضًا خصبة، وحظي بمكانة عظيمة، فألف فيه عدد من المؤرخين نخص بالذكر منهم: عبد الملك بن حبيب، و احمد الرازي ، و محمد بن حزم القرطبي، وغيرهم. كما تنوعت في هذا العصر صور المادة التاريخية فكانت على النحو التالي:

التأريخ العالمي:

ويبدأ من أدم عليه السلام ويستعرض فيها المؤرخ تاريخ الأنبياء، والأمم السابقة، ثم تاريخ صدر الإسلام حتى يصل إلى عصره الذي يكتبه فيه، ومن أقدم هذه الكتب "الأخبار الطوال" لابن حنيفة الدينوريّ، ثم تاريخ اليعقوبيّ، ومن أهم المصادر في التاريخ العالمي كتاب "تاريخ الرسل والملوك" لابن جرير الطبري. ومن هذه الكتب أيضًا "مروج الذهب ومعادن الجوهر" و"التنبيه والإشراف" للمسعودي، وحمزة الأصفهاني في كتاب "تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء"، ومسكويه في كتاب "تجارب الأمم" وغير ذلك.

التأريخ المحليّ:

وأقدم ما ألف في التاريخ المحليّ كان بالعراق في كتاب تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهر طيفور، وفي تاريخ الموصل لابن إياس الأزديّ، وعن البصرة كتب عمر بن شبة، وكتب ابن زولاق عن مصر وفضائلها وعن اليمن كتب الهمدانيّ في كتابيه "الإكليل" و"صفة جزيرة العرب" وكتب الأزرقيّ "أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار" وغير ذلك. أما عن

كتب الفتوح الإسلامية كتب البلاذرىّ كتاب فتوح البلدان، وكتاب "فتوح مصر و المغرب و الأندلس" لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، وكتاب "تاريخ افتتاح الأندلس" لابن القوطية القرطبي وغيرها.

التأريخ المعاصر والمذكرات:

عندما يروى المؤرخ أحداث زمانه تنطبع روايته التاريخية بطابع الصدق والدقة، ومن الكتب التاريخية التى تعتبر مذكرات: كتاب "الاعتبار" لأسامة بن منقذ، وكتاب النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية" لعمارة اليمنىّ وكتاب "أخبار المهدىّ بن تومرت" لأبى بكر الصنهاجىّ، كان رفيقًا لابن تومرت، رافقه فى رحلاته، ووصف مشاهداته، ومعاركه الأولى مع المرابطين. وأبى حامد الغزالي فى كتابه "المنقذ من الضلال". وفى هذا العصر أيضًا تطور منهج الكتابة التاريخية من حيث الطريقة والأسلوب.

أما من حيث الطريقة:

فقد بدأ المؤرخ يتحرر قليلا من طريقة الإسناد التي كانت تلزم المؤرخ بأن يكون مجرد إخباري يجنح إلى الكتابة المرسلة التي تعنى بالخبر ذاته، ومناقشته. وظهر فريق من المؤرخين المسلمين ابتعدوا فى كتابتهم عن طريقة الإسناد، واكتفوا بإبراز الأخبار غير مسندة إلى أصحابها، ومن هؤلاء: اليعقوبىّ، والمسعودي. وكان هؤلاء المؤرخون يكتفون بذكر مصادر مادتهم التاريخية في مقدمات كتبهم مع دراستها فى بعض الأحيان دراسة نقدية كما فعل المسعودي في مقدم كتابه "مروج الذهب".

وأما من حيث الأسلوب:

فإنه أصبح أسلوبًا تاريخيًا مرسلاً بسيطًا وواضحًا فى آن واحد، يكاد يخلو فى معظمه من الشعر، وكثيرًا ما استخدم السجع فى الكتابة التاريخية، على الرغم من عدم مناسبة السجع في كتابة التاريخ، ومن هؤلاء الذين اشتهروا بالسجع فى كتابتهم الكاتب الأندلسى الفتح بن خاقان. وهناك مؤرخون جمعوا بين الكتابة المرسلة والعبارات المسجوعة أمثال المؤرخ الأندلسي المعروف ابن حيان، واستخدم ابن حيان فى كتاباته أسلوبًا سهلاً بسيطًا تجنب فيه الزخرفة اللفظية، والعامية الدارجة.

أما من حيث الموضوع فقد كان يدور حول رواية أخبار الرسول (ص)، ومغازي المسلمين وسيرهم.

المنهج: فهو العناية بذكر الأسانيد وتوثيق الرواية عن سرد كل خبر.

ولذلك كان جمع أخبار السيرة النبوية أولى خطوات تدوين التاريخ الإسلامي.

مناهج تدوين التاريخ (في القرن الثالث إلى السابع الهجرى).

تكثر المؤلفات التاريخية الموسوعية بين القرنين الثالث والسابع هجري ولمع في هذه العصور مؤرخون كبار ممن كان لتصنيفاتهم التاريخية أهمية كبيرة في تثبيت أسس علم التاريخ وقواعده من جهة، كما أنها أصبحت مصادر غنية لمن جاء بعدهم من المؤرخين.

وقد تم ظهور الوراقة "الكتب بالانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور المتعلقة بالكتب والدواوين" التي كانت أحد أهم أسباب ازدهار حركة التأليف والترجمة، وفي ما يلي بعض المؤلفات التاريخية:

كتب الحوليات:

ويقصد بها الكتب التى تتبع التاريخ مسلسلا وفق تعاقب السنوات، بحيث يتم تقسيم الخبر على وحدات صغيرة تتناوله سنة فسنة.

وقد انتقدت هذه الطريقة بسبب تشتت الخبر الذي تستغرق وقائعه أكثر من سنة، حيث تتجزأ روايته ويذكر كل جزء في سنة وقوعه منفصلا عن الجزء الآخر.

ومن أشهر رواده: الطبري والمسعودي.

كتب الوقائع الإسلامية:

وهي طريقة ترتيب الحوادث بربطها بسياق تاريخي متصل ضمن مدة محدودة، وتكون أحداثها مترابطة ببعضها مع مراعاة التسلسل التاريخي.

ومن أشهر رواده: البلاذري صاحب كتاب فتوح البلدان - الطبري صاحب كتاب تاريخ الأمم والملوك - ابن الحكيم صاحب كتاب فتوح مصر وأخبارها.

كتب تاريخ المدن:

وهي الكتب التي تعالج تاريخ مدينة معينة، مثل أخبار مكة للأزرقي، أو تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

كتب التراجم والطبقات:

وهي سير الشخصيات من الأعلام الذين لهم أثر في كل الأصعدة الحضارية في التاريخ الإسلامي، ومن أشهر مؤلفي كتب التراجم، ابن خلكان، والعلامة شمس الدين الذهبي.

كتب الخطط:

لون من الموسوعات التى تجمع الأدب والسياسة والاجتماع والفقه والجغرافيا والرحلات وهذا النوع من الكتب يبين صلة التاريخ الواسعة بالعلوم، ومن أشهر كتب الخطط (المواعظ والاعتبار) للمقريزي.

كتب في مصطلحات وتقسيم العلوم:

ونجد هذا النوع من الكتب عند الخوارزمي صاحب مفاتيح العلوم، وفيه يعالج المصطلحات الصعبة في فروع المعرفة المختلفة.

.....

المحاضرة العاشرة

- المدرسة الحجازية (في المدينة ومكة)

هي مدرسة كتاب السيرة والمغازي.
روادها هم الذين اهتموا بعرض الظروف والأحداث التاريخية الهامة في حياة الرسول

والمسلمين الأولين.

وقد اعتمدوا على شيئين:

الأول – ما كان دائرا بين العرب من إخبار الجاهلية.

الثاني – أحاديث رواها الصحابة ، والتابعون ومن بعدهم عن حياة النبى (ص) وعن ولادته ونشأته ودعوته إلى الإسلام ، وجهاده مع المشركين وغزواته . إلى حين وفاته.

وقد سار هؤلاء الكتاب على نمط علماء (الحديث) فى كتاباتهم ، من الاهتمام بالأسانيد.

ومن الطبيعي أن تكون المدينة هي أهم مصدر للمغازي فقد وقعت أكثر الأحداث تحت أعين أهلها.

وشملت كتابتهم ما اتصل بعهد الرسول ، والخلفاء الراشدين والأمويين أيضا – وسنشير بإيجاز لاثنين من أبرز المنتمين لهذه المدرسة وما تناولته كتاباتهما ، لإلقاء الضوء على هذه المدرسة التاريخية واهتماماتها , واتجاهات أتباعها – وهما عروة بن الزبير ، وتلميذه أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله ابن عبد الله بن شهاب الذى أشتهر باسم الزهرى.

عروة بن الزبير:

فهو ينتسب من جهة الأب وإلام لأسرتين من أشراف قريش ، فأبوه القائد العربي الزبير بن العوام ، وأمه أسماء بنت أبي بكر.

ولد سنة ٢٣ هـ (٦٤٣م) وتوفي ٩٤هـ (٧١٢م) ونشأ في المدينة وزار مصر وأقام بها سبع سنى، كما زار دمشق عدة مرات . كان زاهدا فى الدنيا ، محبا للعلم ، أمضى حياته بين الدرس والتدريس حتى أصبح من فقهاء المدينة , ولم يزج بنفسه فى الأحداث السياسية فى زمنه ، ومع انه كان ضد سياسة الأمويين فقد احترموه لعلمه فكانوا يسترشدون بعلمه ومعرفته فيما يتعلق بالأحداث الخاصة بفترة الرسالة.

وقد اهتم عروة في كتاباته بالإسناد في غالب الأحيان وهذا يعطي لكتاباته أهميه خاصة . لكنه لم يلتزم بهذا في كل رواياته.

وعلى كل حال لم تكن قواعد الإسناد قد تبلورت وثبتت بعد في زمنه.

وقد تناول بالكتابة الأحداث المتعلقة بـ:

بعث الرسول ، ونزول الوحى ، وبداية الدعوة وموقف قريش من المسلمين

الهجرة إلى الحبشة وأسبابها.
ازدياد مقاومة قريش للدعوة، وهجرة الرسول (ص) إلى المدينة.

ثم تحدث عن

- المغازي.
- ورسائل النبي إلى الجهات المختلفة.
- الفترة الأخيرة من حياة الرسول.
- ولم يقتصر عروة على المغازي بل تعرض لفترة الخلفاء الراشدين، فتحدث عن الحروب، الردة في خلافة أبي بكر ، وعن حروب الشام ، وعن مواضيع أخرى جاءت في رسالة عبد الملك بن مروان له.

ويختلف تناوله لهذه الأحداث ، فأحيانا لا يعدو الأمر إشارات عابره ، وفي بعض الأحيان يأتي بتفصيلات.

وقد أورد بعض كتب الرسول إلى الجهات المختلفة ، وفي هذا اتجاه إلى ما عرف فيما بعد (بالتوثيق) في الكتابه التاريخية. كما استشهد بالآيات القرآنية , وكان أحيانا يورد بعض الشعر على لسان المشركين في الأحداث. ويتميز أسلوبه بالسلامة، والبعد عن المبالغة ، وكان يمهد للحادثة بمقدمة. وهكذا جمع عروة ما هو متداول عن الأحداث التاريخية المرتبطة بالمغازي وأسهم في وضع بعض الأسس التي تقوم عليها الدراسة التاريخية لهذه الفترة الهامة في تاريخ الإسلام .

الزهري:
أبي بكر محمد بن مسلم بن عبد الله ابن عبد الله بن شهاب – فهناك أيضا اختلاف في تاريخ ولادته، لكن يرجح انه ولد عام ٥١هـ (٦٧١م) وتوفي عن ٧٢ سنه في عام ١٢٤هـ (٧٤٢م) . وقد أخذ عن أعلام المحدثين الذين يقول عنهم (أنهم بحور للعلم) ، ومنهم أستاذه عروة بن الزبير.
ويذكر انه قام ببحث واسع في المدينة عن أحاديث الرسول والصحابة ، وساعده في ذلك مكانته الاجتماعية ، وذاكرته القوية , واستعانته بالكتابة فقد كان يكتب كل ما يسمع من أحاديث.

واشتهر الزهري كمحدث وفقيه بالإضافة إلى كونه مؤرخا – قال عنه الطبري : " كان محمد بن مسلم الزهري مقدما في العلم بمغازي رسول الله (ص) وأخبار قريش ، والأنصار ، ورواية الاخبار عن رسول الله (ص (وأصحابه.

وقد وصلتنا مقتطفات من مغازي الزهري في ابن اسحق ، و الواقدي ، والطبري , والبلاذري.

وقد حاول الدوري أن ينظم هذه المقتطفات ، وتسلسلها تاريخيا ليصل إلى تصور تقريبي لهذه المغازي.

وكتب عن بداية الخليقة , وإخبار الأنبياء الماضين ، والأحداث التي شهدها النبي قبل الإسلام ، وانتقل إلى دور الرسالة متحدث عن الفترة المكية من بدء نزول الوحي إلى بيعة ألعقبه ، ثم الفترة المدينة من الهجرة فا لمغازي والسرايا ، ثم رسائل وسفارات الرسول إلى هرقل وكسرى ثم يشير إلى حجة الوداع والمرض الأخير للرسول ووفاته وأثر ذلك. وهكذا أعطى الزهري إطارا واضحا للسيرة النبوية . وقد راعى بصورة عامة التسلسل التاريخي للحوادث ، وذكر بعض التواريخ – مثل تاريخ الهجرة و وتواريخ بعض الغزوات :

وهو يهتم إلى حد كبير بالإسناد وقد خطا خطوة هامه نحو الاخبار التاريخية المتصلة – حين اتخذ (الإسناد الجماعي) ، وذالك بجمع عدة روايات في قصة متسلسلة يتقدمها رجال الأسانيد ، وهو كذلك يكثر من ذكر الآية ألقرانيه التي تتصل بما يورد من أخبار. وأسلوبه يتصف بالصراحة والبساطة ، والتركيز ، وقلما يلجأ للمبالغة ، وكان يعتمد على (الأحاديث , (بينما نظر للقصص الشعبي على انه مادة للتسلية فحسب.

ويورد الزهري أحيانا بعض الأشعار المتعلقة بالأخبار التي يذكرها . وبالإضافة إلى المغازي – كتب الزهري في : الأنساب ، وتاريخ صدر الإسلام ، كما تناول فترة الخلفاء الراشدين فتحدث عن اختيار أبي بكر خليفة ، وعن فترة خلافته ، كما تحدث عن إنشاء ديوان الجند في عهد عمر بن الخطاب وعن بعض الأحداث في عصر ، وعن خلافة عثمان ، ثم تحدث عن الفتنة والانقسامات في المدينة ، فنهاية عثمان وانتخاب علي ، وعن النزاع بين علي ومعاوية ووقعة الجمل , ومعركة صفين ، والتحكيم ، والأحداث التي أدت إلى تنازل الحسن بن علي – ويبدو انه لم يعالج الفترة الأموية.

وهو بذلك يعرض لنا الأحداث الهامة – على الأقل – من وجهة نظر رجل من البارزين من رجال المدينة.
وقد وجدت معظم مؤلفاته في خزانة كتب البلاط الأموي."
وهكذا يعتبر الزهري أول من وضع الخطوط الرئيسة لكتابة السيرة النبوية على أساس دراسة جديه ، كما يذكر له دوره في ضبط أحاديث المدينة وروايتها . فإذا كان عروة بن الزبير رائد علم التاريخ فان الزهري مؤسس المدرسة التاريخية في المدينة.

ويمكننا ملاحظة:

- أن أكثر كتاب السيرة والمغازي كانوا من أهل المدينة المنورة . كانت السيرة والمغازي جزءا من الحديث يرويه الصحابة , وكان من بعدهم يرويها عنهم .
- سلك كتاب السيرة والمغازي مسلك المحدثين الأولين فمنهم من كان يهتم بالإسناد ، ومنهم من لم ينهج هذا المنهج باستمرار.
- كل ما ينطبق على الحديث من ناحية تقسيمه إلى أقسام باعتبار صحته ، أو ضعفه ينطبق على السيرة والمغازي فيمكن تقسيم هذه الكتابات على نفس المنهج وبنفس المقاييس.

المدرسة العراقية في الكوفة ، والبصرة ، وبغداد

تختلف في جذورها عن مدرسة المدينة ، فقد كانت مقر الحاميات القبلية، وموطن التقاليد القبلية.
كان التنافس بين البصرة والكوفة بداية شديدا، ثم بعد قيام الدولة العباسية وبناء بغداد في أيام أبو جعفر المنصور واتخاذ بغداد عاصمة أصبح التنافس للعصبية والقطر ثم البلد.(تعصب العراقيين للعراق على حساب تعصب ،الحجازيين للحجاز....).من أمثلة ذلك:تاريخ بغداد للبغدادي.

على أن الإخباريين اهتموا بجمع الروايات القبلية علاوة على الاهتمام بشؤون العالم الإسلامي آنذاك. كتأليفهم لأخبار الشام والجزيرة العربية، كما حدث مع سيف بن عمر الذي تحدث عن الردة معتمدا على أصول شامية وحجازية في التدوين.
*يمكن ملاحظة الميل المذهبي لدى بعض المؤرخين العراقيين في تصنيفاتهم .

*اهتم أتباع هذه المدرسة بالنقد أحيانا عند ذكرهم لعدة روايات وبأسانيد مختلفة ومحاولة ترجيح كفة على أخرى، مستخدمين ما يتوفر من وثائق رسمية أو نصوص مدونة.

امتاز أسلوب أتباع المدرسة بالسهولة وذكروا الأشعار في مدوناتهم.

*استخدموا أسلوب النقد الداخلي والخارجي للنص.

*اهتم أتباع المدرسة بجوانب أخرى مثل (الصلة بين قريش والعرب، الأدب العربي ، الرحلة في طلب العلم).

أشهر مؤرخي المدرسة في القرن الثالث الهجري:

- ابن قتيبه (المعارف :(يتحدث عن تاريخ ألامه والشعوبية والعالمية للتاريخ.
- البلاذري (انساب الإشراف ,فتوح البلدان):الجهاد ودور العرب التاريخي في ذلك.
- اليعقوبي(التاريخ).التاريخ العام رغم ميوله الواضحة.
- الدينوري (الأخبار الطوال): يظهر تأثير العراق وفارس على الكتابة ودورهم في الحكم العباسي.
- الطبري (تاريخ الأمم والملوك، جامع البيان في تفسير القرآن): الاهتمام الديني والنضج الروحي الذي وصلت إليه ألامه.

مدرسة التاريخ في مصر والشام

أساتذتها هم الصحابة والتابعين الفاتحي

فقد برز في مصر:

يزيد الازدي الذي اهتم بالأحداث المتعلقة بفتح مصر بأسلوب المحدثين في جامع الفسطاط بالإضافة إلى دور مدرسة الإسكندرية.

عبدا لله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ).

الليث بن سعد.

عبدا لرحمن بن الحكم.

أبو عمر الكندي.

أما في الشام فنذكر:

الاوزاعي اشتهر بالحديث والفقه وكان له مذهب وانتشر مذهبه بالأندلس أيضا.ثم حل مكانه المذهب الشافعي في الشام ومالك في الأندلس.

*إن قيام الدولة الأموية في دمشق أسهم في جعلها منارة للعلم والعلماء إلى أن سقطت وقام مكانها الدولة العباسية.

مدرسة التاريخ في قرطبة(الأندلس)(٩٢- ٨٩٧هـ)

مرت دولة الإسلام في الأندلس بفترات حكم متوالية منها:
حكم الأمويين في الشام عقب الفتح (موسى بن نصير – طارق بن زياد – عبدا لرحمن الأموي الداخل – الدولة العامرية- ملوك الطوائف -المرابطين والموحدين، بنو الأحمر في غرناطة).

اتسمت الحياة الثقافية منذ نشأتها بالاعتماد على المشرق وقد حوت الخزانة الملكية في قرطبة أكثر من ٤٠٠ ألف مجلد.

من أشهر مؤرخي هذه المدرسة:

احمد بن محمد الرازي التاريخي(مسالك الأندلس).

(ابن الفرضي) تاريخ العلماء والرواة.

ابن حيان القرطبي (المقتبس في تاريخ الأندلس)

(أبو عبدا لله الحميري)جذوة المقتبس.

لسان الدين ابن الخطيب (الإحاطة في أخبار غرناطة)

أبو العباس المقري (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.

ابن جبير ورحلته.

ابن بطوطة ورحلته.

الفيلسوف ابن رشد وابن زهر وابن باجه وابن البيطار وابن فرناس وابن خلدون وابن عربي.

.....

المحاضرة الحادية عشر

مدرسة مكة التاريخية

بقدر تأثرها بالمدارس التاريخية المجاورة (كالمدرسة الشامية والمدرسة المصرية) في القرون الأولى، إلا أن المدرسة التاريخية المكية كانت تتميز بخصائص اجتماعية، ومجالات كتابة مؤرخيها لم يشاركها فيها مدرسة أخرى .

كانت المدرسة المكية تهتم اهتماماً مركزياً بالحرم المكي الشريف؛ بناءً، وإعماراً ، وتدريساً وخطابة ، وما ارتبط به من قضايا فقهية. شكلت رحلات الحج، وأحداثه، وقضاياه ؛ سمة مكية لمؤرخي مكة. كما اهتمت المدرسة المكية بالتراجم وآل البيت والأسر، والمذاهب السنية.

شكلت مناهج وأساليب مؤرخي مكة الكبار بدءًا بالأزرقي والفاكهي والفاسي وانتهاءً بالنجم عمر بن فهد، مدرسة علمية منهجية ؛ اقتفى أثرها وحاكاها جيل مؤرخي مكة حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري بشكل أو بآخر، مع بعض الاختلافات من قرن إلى القرن الذي يليه.

وصلت قائمة المؤرخين المكيين الذين عاشوا ما بين القرنين الثالث والثالث عشر الهجريين ١٨٧ مؤرخاً، و٨٤٦ من المؤلفات التي تناولت التاريخ ومتعلقاته، أو التي تعتبر من المصادر الأساسية للدراسة التاريخية.

سلك مؤرخو مكة في تاريخ الحوادث النظام الحولي، بالسنوات والأشهر والأيام، فاتسمت طريقة التدوين في هذا النوع بالضبط والوصف، وفي كتب التراجم، كتب خصصت للتراجم ، وأخرى جمعت بين تاريخ مكة وتراجم الخلفاء والسلاطين وأمراء مكة.

لم تقتصر كتابات مؤرخي مكة على الكتابة على النواحي السياسية، بل شملت جزءً كبيراً من الحياة الاجتماعية والدينية والثقافية والاقتصادية في مكة، كمثل ذكر المواليد والوفيات ومراسيم الدفن، واحتفالات أهل مكة في الزواج، وأنواع الزفات والأطعمة ،وكذلك ذكر بعض الحوادث التي تقع داخل المجتمع المكي من سرقات وجرائم قتل وشجار

وغيرها، والسيول والحرائق والدمار، وغلاء الأسعار، وعدم وفرة بعض السلع ، وقلة الأمطار، وأسعار البيع، وسك بعض العملات الجديدة، وأخبار الحياة العلمية من ذكر العلماء وأخبار مؤلفاتهم ومناقشتاهم العلمية واختلافاتهم في الرأي، وغير ذلك.

من خصائص مؤرخي مكة ، لا تخلو كتاباتهم من النقد والتعليق والتحليل والضبط، كنقد العز بن فهد لطباع بني شيبه سدنة البيت، واختلافهم على سدانة البيت، ونقده للحجاج عند ذبحهم للشياه ورميها في الطرقات، وتحليله لتفشي الفقر والمرض في أبناء البادية، وضبطه للوفيات بالساعة والشهر والسنة، وأحياناً كان يشير إلى سبب الوفاة ، وذكره طريقة توزيع الصدقات.

اتصف منهج مؤرخو مكة بدقة النقل والإحالة والإضافات والاستطراد. بعد احتوائه لكتب من سبقه، وعزوه ذلك إليه ،يهتم المؤرخ المكي بالإضافة والزيادة في عصره،وإكماله لما يراه نقص من تراجم، والعديد من التعليقات، فميزنها بكلمة (قلت أو أقول، ولعل والذي يظهر لي ، وهنا إشكال) وما شابه ذلك.

برع مؤرخو مكة في الفقه والتفسير وعلوم الحديث طلباً وضبطاً، وكان يُجاز الواحد منهم من العشرات من علماء الشريعة في عدد من الأقطار، وقد ألف العز بن فهد معجماً لشيوخه يقال إنه يحوي ألف شيخ، وقد قرأ عليهم العز التفسير والحديث وعلومه، والفقه والأصول، والنحو وعلوم اللغة.

كان لكثير منهم مكانة مرموقة في المجتمع المكي ، ولدى أمراء مكة الأشراف، ويشاركون في اجتماعات العلماء والفقهاء حول استصدار الفتاوى لقضايا ونوازل معاصرة لهم ، كبناء ما تهدم من سقف الكعبة عام ٩٥٩هـ.. وتولي العديد من المناصب الدينية ومنها منصب الإفتاء.

اهتم مؤرخو مكة بالقضايا الفقهية مما يدل على تمكنهم من ذلك،مثل مسح المقام وحول نزع الخف والنعل لدخول الكعبة، وتقبيل الحجر الأسود، وحكم ما يهدى إلى الكعبة، وماء زمزم، وغيرها من الأمور والقضايا.

وكان يرى قطب الدين النهروالي أن من بركة العلم نسبته إلى قائله، وما لم يكن له سند بين الناقل والراوي فلا اعتماد على ذلك النقل، فلا بد أن يكون رجال السند موثوقاً بهم وإلا فلا اعتبار لتلك الرواية، وعلى هذا الأساس ذكر في مقدمة كتابه " الإعلام بأعلام

بيت الله الحرام" سنده إلى من نقل عنه من مؤرخي مكة كالأزرقي والفاكهي والفاسي وابن فهد.

حفل القرن الحادي عشر بوجود أعداد كبيرة من الأسر ذات المكانة العلمية في مكة مثل آل الطبري، والمرشدي والقطبي والمنوفي والقلعي والمفتي، والعصامي وغيرهم.

كان السنجاري (١٠٥٧-١١٢٥هـ) أحد علماء عصره وفقهائه، أخذ علمه عن أكابر العلماء والفقهاء في ذلك الوقت حتى غدا أحدهم، مما جعله جديراً بخطابة وإمامة المسجد الحرام وهذا منصب لا يتولاه إلا كل فقيه ضالع في أمور الدين ، يلم بالعلوم الشرعية والأدبية.

وكثيراً ما عالج السنجاري في كتابه (منائح الكرم) أموراً فقهية تدل على تضلعه في الفقه، ويتضح ذلك في كتابه " القربة بكشف الكربة" الذي عالج فيه عدم صحة صلاة المؤتم بالإمام الخارج وهو في جوف الكعبة، كما قاوم بعض البدع التي كانت شائعة فيمن قبله، وذلك بالتركيز عليها كتابة للفت الأنظار لمعالجتها، ومن أمثلة ذلك ما ذكره حول بدعة تقبيل خف جمل المحمل، وبدعة سرة الدنيا، وبدعة الوقيد في المقامات، وبدعة طواف الأشراف بجثث موتاهم حول الكعبة،ومع تمسكه بالسنة ومذهبها الحنفي ومحاربته لكثير من البدع ، كان متأثراً بالتصوف الذي كان من سمات عصره.

بعد القرن الحادي عشر بدأت تختفي الأسر العلمية، وغلب على أساليب الكتابة والتأليف الصناعة البديعية، وخاصة السجع، مما ساهم في إضعاف الصياغة التاريخية لدى مؤرخي القرون المتأخرة.

١٩-ومن مؤرخي القرن الثالث عشر محمد بن أحمد المكي المالكي الصباغ(١٢٤٣-١٣٢١هـ)،الذي نشأ في رحاب البيت العتيق، وينهل من علماء زمانه، ومشايخ وقته، ومن العلماء الوافدين إلى البيت العتيق، فحفظ القرآن، وطلب العلم، وتفقه على مذهب الإمام مالك بمكة، فكان مؤرخاً ذا ذكاء وحافظة جيدة، وكان من جملة المطوفين للحجاج المغاربة.

وأما منهجه في كتابه "تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام" النقل عمن سبقه في هذا المجال، فجمع مادته العلمية من بطون كتب التاريخ الإسلامي، وتوج بحثه بالنقل من الآيات القرآنية ومن الحديث والفقه، وينقل

النصوص من المصادر والمراجع أحياناً متطابقة كما هى ، وأحياناً بتدخل منه، كما يظهر على المؤلف المعرفة بعلم الحديث، فقد جمع أدلته من كتب الصحاح ومن السنن ومن الأسانيد ومن معاجم الحديث، فيورد الحديث إلى مصدره في الغالب.

وينقل الصباغ المسائل الفقهية مقرونة بالدليل، ثم يورد المذاهب الفقهية فى ذلك، ولم يكن يرجح بين المذاهب ، إلا أنه يؤخذ عليه تأثره بالصوفية، وتحامله على الدعوة السلفية " للشيخ محمد بن عبد الوهاب".

الكتابة التاريخية فى القرن الثانى والثالث الهجري

اعتبر العلماء القرن الثالث الهجري أزهى عصور السنة وأسعدها بالجمع والتدوين ، ففيه دونت الكتب الستة التى اعتمدتها الأمة فيما بعد ، وفيه ظهر أئمة الحديث وجهابذته ، وفيه نشطت رحلة العلماء في طلب الحديث ، ولذلك جعل كثير من أهل العلم هذا القرن الحدّ الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين من نقاد الحديث .وبانتهاء هذا القرن كاد أن ينتهي عصر الجمع والابتكار في التأليف. وقد شهد القرن الثالث الهجرى اهتماما ملحوظا بكتابة السير والمغازي .

وبتتبع علم التاريخ عند المسلمين خلال القرون الأولى نجده قد سار في اتجاهين: الاتجاه الإسلامي أو الاتجاه الذي ظهر عند أهل الحديث ،والاتجاه القبلي . وهذان الاتجاهان يعكسان التيارين الكبيرين في مجتمع صدر الإسلام: التيار القبلي الذي يمثل استمرار التراث القبلي، والتيار الإسلامي الذي يمثل المبادئ والفعاليات الإسلامية أي بالحديث أساسا ثم بالسيرة والمغازي. وقد تركز الاتجاه الإسلامي بالمدينة والاتجاه القبلي في الكوفة والبصرة، وكانت المدن الثلاثة مراكز إشعاع ثقافي، وبذلك صار لكل اتجاه مدارس التاريخية ،وحصل تأثير متبادل بينهم.

بعد الفتح الإسلامي للمغرب أصبح المغرب الإسلامي يمثل امتدادا للعمق الإسلامي بالشرق، إضافة إلى مخزونه الحضاري الأصلي في مختلف الجوانب والمجالات الحضارية. وفيما يتعلق بالكتابة التاريخية فكانت تسير على منوال التأليف العربي الإسلامي، وهذا بدوره مستوحى من نمط شرقي قديم.

وتظهر أهمية المدارس التاريخية ودورها في تطوير الكتابة التاريخية وما رافقها من مناهج وآراء كان لها أكبر الأثر في تفسير الأحداث التاريخية عند العرب وذلك بسبب

توافر إمكانية الكتابة النقدية وفحص المصادر وتقويمها وتمييز الوهم عن الحقيقة والصادق عن الكاذب والخطأ عن الصواب.

وكانت الكتابات التاريخية عند العرب تسير وفق أنماط متصاعدة تتفاوت في عمقها وسرعتها وتأثرها بالإقليم والعصر.

ولا شك أن السرعة التي تحققت بها الفتوحات الإسلامية، وامتداد الدولة الإسلامية من جبال البرانس (الحدود الفرنسية الإسبانية) إلى حدود الصين، حاملة راية الإسلام، أشعر العرب المسلمين بالانبهار والافتخار بسلامة نهجهم، كما أشعرهم بأن لهم دوراً ريادياً في التاريخ العالمي، فأخذوا بجمع وتحقيق عناصر هذه التجربة الكبرى، التي كان لهم شرف حملها وتبليغها للعالم، فكان ذلك مدعاة لعنايتهم بالتاريخ .

من أعلام تلك المرحلة

ابن عبد الحكم (٢٥٧ هـ):

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو القاسم، مؤرخ، من أهل العلم بالحديث. مصري المولد والوفاة.

من كتبه: (فتوح مصر والمغرب والأندلس) .

سيف بن عمر الأسدي التميمي (ت ٢٠٠ هـ) :

من الإخباريين، كوفي الأصل اشتهر وتوفي ببغداد. من كتبه (الجمل) و(الفتوح الكبير)

اليعقوبي (ت بعد ٢٩٢ هـ) :

أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي. مؤرخ و جغرافي كثير الأسفار. من أهل بغداد. كان جده من موالي المنصور العباسي. رحل إلى المغرب، وأقام مدة في أرمينية، ودخل الهند، وزار بلاد العرب. من أشهر كتبه (تاريخ اليعقوبي) انتهى به إلى خلافة المعتمد على الله العباسي. وكتاب (البلدان) الذي يعتبر أول كتاب في الجغرافية التاريخية.

هذا بلأضافة إلى شرحبيل بن سعد (ت ١٢٣هـ ـ ٧٤٠م) وعاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠هـ ـ ٧٣٧م).

فالزهري (ت ١٢٤هـ ـ ٧٤١م) هو الذي توسع في جمع الروايات وتمحيصها واستخدام عبارة "السيرة" بدلاً من المغازي. وايضا ابن اسحق (ت ١٥١هـ ـ ٧٦١م) نجده يمضي شوطاً في الجمع بين الروايات التاريخية والأحاديث الشريفة والشعر والقصص الشعبي.

البلاذري (٢٧٩ هـ):

أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، مؤرخ، جغرافي، من أهل بغداد، كام قريبا من المتوكل العباسي، ومات في أيام المعتمد. وكان يجيد الفارسية وترجم عنها كتاب (عهد أزدشير) ومات مرضا فى أحد المستشفيات. من كتبه:

(فتوح البلدان) و (القرابة وتاريخ الأشراف) أجزاء منه، ويسمي (أنساب الأشراف) ومنه مخطوطة نفيسة في مجلد واحد، كتبت في دمشق سنة ٦٥٩ ه، في خزانة الرباط. وهو وإن كان يعتمد على أخبار من سلفه، إلا أنه ينتقد تلك الأخبار ويفحصها وينتقي منها.

.....

المحاضرة الثانية عشر

ابن جرير الطبرى ٣١٠ هـ:

محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ والمفسر والإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها.

وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. ينسب اليه (أخبار الرسل والملوك) ويعرف بتاريخ الطبري، في ١١ جزءا، و (جامع البيان في تفسير القرآن) ويعرف بتفسير الطبري، في ٣٠ جزءا، و (اختلاف الفقهاء) و (المسترشد) في علوم الدين، و (جزء في الاعتقاد) غير ذلك، وهو من أهم المؤرخين والعلماء الموثوق فيهم.

والطبري اكتملت لديه مرحلة نضوج البدايات والتكوين للكتابة التاريخية. وقد اعتمد الطبري على ثقافته الواسعة ومنهجه كمحدث وفقيه يدقق في السند ويمحص الروايات.

المسعودى (ت٣٤٦ هـ):

- **علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، مؤرخ، ورحالة، وباحث. من أهل بغداد. أقام بمصر وتوفي فيها. من أهم كتبه "مروج الذهب ومعادن الجوهر " - أخبار الزمان ومن أباده الحدثان " - التنبيه والإشراف ".**

مسكويه (ت ٤٢١ هـ)

أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، أبو علي ، مؤرخ وكاتب وباحث. أصله من سكان أصفهان وتوفي بها. اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق. أهتم بالتاريخ والأدب.

واعتمد مسكويه على الطبري بصورة واسعة، كما اعتمد على مشاهداته وتجاربه في حياته الطويلة، واطلاعه على علوم العصر من فلسفة وأديان وحديث ورواية.

ويمثل مسكويه خطوة متقدمة في الكتابة التاريخية الموضوعية، فإنه على الرغم من معاصرة السلاطين والوزراء البويهيين لا نجده يمدحهم أو يتملقهم في كتاباته. ولم يظهر ميلاً إلى تيار أو ملك أو اتجاه، بل حاول أن يرصد عصره ويحلل أحداثه بعقلانية، إلى درجة أنه لقّب بالمعلم الثالث نظراً لتمكنه من الفكر الفلسفي والإفادة منه في الكتابة التاريخية.

ويمكن تلخيص ملامح المنهج التاريخي لدى مسكويه فى أن التاريخ أحداث يمكن أن يستفيد منها الإنسان في أمور تتكرر، ومقارنة الماضي بالحاضر للإفادة من خبرات الماضي .

ضرورة غربلة الأخبار من الأساطير والأسمار والمعجزات .

ومحاولة تفسير أحداث التاريخ وفق منهج علمي تجريبي قائم على الحذر في تلقي الروايات ، والدقة في تحليلها .

و استفاد مسكويه من فكره الفلسفي في تفسير التاريخ . فهو بذلك أول من بدأ فلسفة التاريخ .

ومسكويه مؤرخ موضوعي لا ينطلق من تصور مسبق . وحيادي في قراءة مصادره والإفادة منها .

ومن أشهر كتب ماسكويه (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) أجزاء منه في التاريخ، وانتهى به إلى السنة التي مات فيها عضد الدولة (٣٧٢ هـ) وكتاب (تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق).

ابن جبير (ت ٦١٤ هـ)

محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي: رحالة وأديب. ولد في بلنسية ونزل بشاطبة، وبرع في الادب، ونظم الشعر، اهتم بالرحلات والتنقل فزار المشرق ثلاث مرات إحداها

سنة ٥٧٨ ـ ٥٨١ هـ، وهي التي ألف فيها كتابه " رحلة ابن جبير " مات بالإسكندرية في رحلته الثالثة.

ابن أبي الدم (ت٦٤٢ هـ)

- مؤرخ من علماء الشافعية. مولده ووفاته بحماة. تفقه ببغداد، واشتهر بالقاهرة، زار كثير من بلاد الشام. وتولى قضاء حماة.وتوجه رسولا إلى بغداد، ومات فى حماة.ومن أعماله (كتاب التاريخ) و(التاريخ المظفري) و(تدقيق العناية في تحقيق الرواية).

الحميدي (٤٨٨ هـ):

هو محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الازدي الحميدي، أبو عبد الله بن أبي نصر. مؤرخ محدث، أندلسي من أهل جزيرة ميوركة. أصله من قرطبة. وهو صاحب (ابن حزم) وتلميذه.رحل إلى مصر ودمشق ومكة (سنة ٤٤٨ هـ) وأقام ببغداد حتى توفي بها.

من كتبه الشهيرة (جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس)و (الذهب المسبوك في وعظ الملوك) و(الجمع بين الصحيحين) في الحديث.

القفطي (٦٤٦ هـ):

علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي ،وزير، ومؤرخ، ومن الكتاب. ولد بقفط (من أعالى الصعيد بمصر) وسكن حلب، فولي بها القضاء في أيام الملك الظاهر، ثم الوزارة في أيام الملك العزيز سنة ٦٣٣هـ وأطلق عليه لقب " الوزير الأكرم " .

ومن مؤلفاته " إخبار العلماء بأخبار الحكماء " و " أخبار مصر " فى ستة أجزاء.

ابن شداد (٦٨٤ هـ):

محمد بن علي بن إبراهيم، أبو عبد الله، عز الدين الأنصاري

مؤرخ، ولد بحلب وقام برحلة إلى حران ومصر. تولى ديوان الرسائل عند هولاكو وغيره من الملوك، واستوطن الديار المصرية بعد استيلاء التتار على حلب، وتوفي بالقاهرة.

أهم كتبه (الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة) و(سيرة الملك الظاهر) و (تاريخ حلب).

ابن الوردي (٦٩١ هـ):

عمر بن مظفر بن عمر محمد ابن أبي الفوارس .شاعر، وأديب، ومؤرخ. ولد في سوريا وولي القضاء بها، وتوفي بحلب.

من كتبه " ديوان شعر " فيه بعض نظمه ونثره، و " تتمة المختصر " تاريخ، مجلدان، ويعرف بتاريخ ابن الوردي.

ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ):

ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب.

أصله من الروم. عاش من نسخ الكتب بالأجرة. وقام برحلة واسعة انتهى بها إلى مرو (بخراسان)، ثم انتقل إلى خوارزم، ثم فر منها بسبب التتار ونزل بالموصل، ثم رحل إلى حلب وأقام في خان إلى أن توفي.

من أهم كتبه " معجم البلدان " و" إرشاد الغريب " ويعرف بمعجم الادباء، " المشترك وضعا والمفترق صقعا " و " المقتضب من كتاب جمهرة النسب " و "المبدأ والمال" في التاريخ، وكتاب الدول وأخبار المتنبي ومعجم الشعراء .

ابن خلكان (٦٨١ هـ):

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، المؤرخ، والاديب الماهر، صاحب (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) وهو أشهر كتاب التراجم ومن أحسنها ضبطا وإحكاما.

ولد في إربل (بالقرب من الموصل على شاطئ دجلة الشرقي) وانتقل إلى مصر فأقام فيها مدة، وتولى نيابة قضائها. وسافر إلى دمشق، فولاه الملك الظاهر قضاء الشام. ثم عزل عنه بعد مدة. وولي التدريس في كثير من مدارس دمشق، وتوفي فيها فدفن في سفح قاسيون، ويتصل نسبه بالبرامكة.

ابن الجوزي (٥٩٧ هـ):

عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، علامة عصره في التاريخ والحديث. مولده ووفاته ببغداد.

كتبه نحو ثلاث مئة مؤلف : منها (تلقيح فهوم أهل الآثار، في مختصر السير والأخبار)، و (الأذكياء وأخبارهم) و (مناقب عمر بن عبد العزيز) و (روح الارواح) و (المدهش) في المواعظ وغرائب الأخبار و (الناسخ والمنسوخ) .

(ابن خلدون) ٨٠٨ هـ :

عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الاشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف والمؤرخ، والعالم الاجتماعي البحاثة.

أصله من أشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس.

ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية. وعزل، وأعيد، وتوفي فجأة في القاهرة.

اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر) في سبعة مجلدات، أولها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها.

وختم (العبر) بفصل عنوانه (التعريف بابن خلدون) ذكر فيه نسبه وسيرته وما يتصل به من أحداث زمنه.

ثم أفرد هذا الفصل، فتبسط فيه، وجعله ذيلا للعبر، وسماه (التعريف بابن خلدون، مؤلف الكتاب، ورحلته غربا وشرقا) ومن كتبه (شرح البردة) وكتاب في (الحساب) ورسالة في (المنطق) و (شفاء السائل لتهذيب المسائل)..

وقد بلغت الكتابة التاريخية وعلم التاريخ أوجها لدى ابن الخطيب العلامة الموسوعي، وابن خلدون صاحب فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع. ويتضح منهجه التاريخي في أن التاريخ فنٌ غايته نقل الأخبار. والتاريخ معرفة الماضي للإفادة منها في رؤية الحاضر.

التاريخ لدى ابن خلدون ليس مجرد نقل للأحداث السياسية وسيَر الملوك والسلاطين، بل هو تصوير للحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية بما تشمله هذه الحياة من رقي وازدهار، أو تخلف وتدهور. وهو في ذلك يتابع التفاصيل الدقيقة للموضوع الذي يتحدث عنه.

ابن كثير ٧٧٤ هـ :

إسماعيل بن عمر بن كثير بن درع القرشي، أبو الفداء عماد الدين:

مؤرخ فقيه. ولد في قرية من قرى بصري بالشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ، ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق.

من كتبه (البداية والنهاية) ١٤فى مجلدا في التاريخ و (شرح صحيح البخاري) ولكن لم يكمله، و (طبقات الفقهاء الشافعيين) و (تفسير القرآن الكريم) عشرة أجزاء و(الاجتهاد في طلب الجهاد)

(السخاوي) ٩٠٢ هـ:

محمد بن عبد الرحمن بن محمد، شمس الدين السخاوي: من أهم المؤرخين الذين تميزوا بقوة الحجة، وعالم بالحديث والتفسير والأدب. أصله من سخا (من قرى مصر) ومولده في القاهرة، ووفاته بالمدينة. كانت له أسفار كثيرة فى العديد من البلدان.

وصنف حوالي مأتي كتاب أشهرها (الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع)من أثنا عشر جزءا، وكتب عن نفسه فيه بثلاثين صفحة.

وله مؤلفات عديدة وهامة منها (شرح ألفية العراقي) في مصطلح الحديث، و (المقاصد الحسنة) في الحديث، و (القول البديع في أحكام الصلاة على الحبيب الشفيع) و (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التأريخ) و (الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر) و (الجواهر المكللة في الأخبار المسلسلة) .

- **ابن طباطبا (ت٧٠٩ هـ) م**
- **حمد بن علي بن محمد ابن طباطبا العلوي، أبو جعفر، المعروف بابن الطقطقي**
- **مؤرخ ناقد. من أهل الموصل.من أهم كتبه (الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية).**
- **صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)**
- **صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، أديب، مؤرخ**

- **ولد في صفد (بفلسطين) وإليها نسبته. وتعلم في دمشق ولع بالادب وتراجم الاعيان. وتولى ديوان الانشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها.**
- **صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)**
- **تميز بكثرة مؤلفاته القيمة منها**
- **(الوافي بالوفيات) كبير جدا، في التراجم. (الشعور بالعور) في تراجم العور وأخبارهم .(نكت العميان) ترجم به البارزين من المكفوفين .**
- **تاج الدين السبكي (ت ٧٧١ هـ)**
- **عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، أبو نصر: قاضي ومؤرخ .**
- **ولد في القاهرة، وانتقل إلى دمشق مع والده، فسكنها وتوفي بها. نسبته إلى سبك (من أعمال المنوفية بمصر) وكان طلق اللسان، قوي الحجة، ومن أشهر كتبه طبقات الشافعية الكبرى " ستة أجزاء، " معيد النعم ومبيد النقم "**

"

- **ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ)**

محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجى، أبو عبد الله، ابن بطوطة:

ولد ونشأ فى طنجة بالمغرب الاقصى. وخرج منها سنة ٧٢٥ هـ

طاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين

وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين وأواسط إفريقية. اتصل بكثير من الملوك والأمراء، فمدحهم - وكان ينظم الشعر - واستعان بهباتهم على أسفاره. وعاد إلى المغرب الأقصى.

- **مؤلفه (تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار) ترجم الى عدة لغات.**

وكان ابن بطوطة يحسن التركية والفارسية. واستغرقت رحلته ٢٧ سنة (١٣٢٥ - ١٣٥٢) ومات في مراكش. وتلقبه جمعية كمبردج في كتبها وأطالسها بـ »أمير الرحالين المسلمين».

ابن الفرات (ت٨٠٧هـ)

محمد بن عبد الرحيم بن علي بن محمد، المعروف بابن الفرات:

مؤرخ مصري. ولي خطابة (المدرسة المعزية) بالقاهرة ، أهم كتبه (تاريخ ابن الفرات) واسمه في الأصل (الطريق الواضح المسلوك إلى معرفة تراجم الخلفاء والملوك) .

- **بدر الدين العيني (ت ٨٥٥ هـ) م**
- **حمود بن أحمد بن موسى بن أحمد، أبو محمد، بدر الدين العينى الحنفي:**
- **مؤرخ، من كبار المحدثين. أصله من حلب .ولي في القاهرة الحسبة وقضاء الحنفية ونظر السجون، كان قريبا من الملك المؤيد ويعتبر من أصدقائه.وقد تفرغ في أخر حياته إلى التدريس إلى أن توفي بالقاهرة.وأهم مؤلفاته (عمدة القاري في شرح البخاري) و(معاني الأخيار في رجال معاني الآثار).**
- **ابن إياس (ت نحو ٩٣٠ هـ)**
- **محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، أبو البركات: مؤرخ وباحث مصري من المماليك ومن مؤلفاته (تاريخ ابن إياس) المسمى (بدائع الزهور في وقائع الدهور) و(مرج الزهور) في التاريخ.**
- **المَقّري (ت١٠٤١ هـ)**

أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقري التلمساني المؤرخ و الأديب

- **ولد ونشأ في تلمسان (بالمغرب) وانتقل إلى فاس، فكان خطيبها والقاضي بها.ومنها إلى القاهرة (١٠٢٧) وتنقل في الديار المصرية والشامية والحجازية، وتوفي بمصر. المَقّري نسبة إلى مقرة (بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة) من قرى تلمسان. وهو صاحب (نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب) أربعة مجلدات، في تاريخ الأندلس السياسي والأدبي. و(أزهار**

الرياض في أخبار القاضي عياض) وأيضا (حسن الثنا في العفو عمن جنى)

.

- **الجبرتي (ت ١٢٣٧ هـ)**

- **عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: مؤرخ مصر، ومدون وقائعها وسير رجالها، ولد في القاهرة وتعلم في الأزهر، جعله نابليون وقت احتلاله مصر من كتبة الديوان. وولي إفتاء الحنفية في عهد محمد**

له كتاب: (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) أربعة أجزاء، ويعرف بتاريخ الجبرتي، ابتدأه بحوادث سنة ١١٠٠ هـ وانتهى سنة ١٢٣٦ هـ، وقد ترجم إلى الفرنسية. وكتاب (مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس) في جزأين وترجم إلى الفرنسية وطبع بها.

- **الواسعي (ت ١٣٧٩ هـ)**

عبد الواسع بن يحيى الواسعي الصنعاني: مؤرخ من العارفين بالحديث، زيدي، من أهل صنعاء. قام برحلة إلى الحجاز والشام ومصر ونشبت الحرب العامة الأولى، وهو في دمشق، فأقام بها خمس سنين. وعكف على التدريس في صنعاء إلى أن توفي. من كتبه: تاريخ اليمن " سماه " فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن "" ملحق لتاريخ اليمن ".

.....

المحاضرة الثالثة عشر

مراجعة عامة

مفهوم العلم

العِلْم: نقيض الجهل، وعلمت الشيء علمًا أي عرفته. ويأتي العلم بمعنى الفقه، فالعلم بالشيء هو الفقه فيه.

ويمكن النظر إلى العلم في معناه ومقاصده وممارساته، من منظورين:

المنظور الأول: العلم بوصفه متصلاً باليقين أو الإيمان

المنظور الثاني: ينظر إلى العلم بوصفه نشاطًا إنسانيًا بحتًا ينتج عن سعي الإنسان للتعرف على نفسه وما يحيط به من ظواهر معتمدًا على مناهج وأدوات تحقق معرفة تتفاوت في الصواب والخطأ.

علم التاريخ عند العرب

لم يكن عند عرب في الجاهلية تاريخ كما هو معروف من هذا اللفظ اليوم ولكنهم كانوا يتناقلون أخباراً متفرقة بعضها حدث في بلادهم والبعض الآخر نقله إليهم الذين عاشروهم من الأمم الأخرى، فمن أمثال أخبارهم حروب القبائل المعروفة بـ(أيام العرب) وقصة سد مأرب واستيلاء أبي كرب تبان أسعد على اليمن وبعض من خلفه وملك ذي نواس وقصة أصحاب الأخدود وفتح الحبشة لليمن وقصة أصحاب الفيل وقدومهم للكعبة.

أيام العرب :

هي وقائع العرب قبل الإسلام، تناول الإخباريون والعامة أيام العرب من الناحية مكارم الأخلاق والملاحم والبطولات والنواحي الأدبية من شعر ونثر أكثر من كونها وثائق عسكرية. فهي ليست وثائق عسكرية تتحدث عن معارك حربية، وتصور روحًا قتالية مستمرة، ولكنها ذات محتوى درامي ورسالة أدبية ووظيفة ملحمية تكتسبها من الصوت الإبداعي المنبثق من وجدان الأمة العربية.

إن علم أيام العرب هو علم يبحث عن الوقائع العظيمة ، والأهوال الشديدة بين القبائل ..لذلك ينبغي أن يجعل فرعاً من فروع التواريخ .

المدرسة اليمنية : على اعتبار أنها استمرار للتيار الجاهلي قبل الاسلام
وقد اهتمت بأخبار أهل الكتاب، وتاريخ اليمن ، والتاريخ فيها قصص وأساطير .
والمؤرخون هنا قصاصون شعبيون أو إخباريون يرددون الروايات التاريخية كما هي دون

محاولة جادة لنقدها أو تخليصها من الخرافات .
ففيها تبدو بوضوح سمات الروايات اليمنية في طابعها الأسطوري القصصي فهي مزيج من القصص الشعبي ، والإسرائيليات ، وفيها تمجيد لعرب اليمن ، كما أنها في أسلوبها لا تخرج كثيرا عن أسلوب قصص أيام العرب .

علم التاريخ عند المسلمين

أوجد المسلمون علوما كثيرة ، والعلوم لا تقوم إلا على المنهجية؛ فهم لم يكونوا مجرد نقلة. ولا شك أن علم التاريخ، وهو مظهر من مظاهر تقدم حضارة المسلمين في العصور الوسطى، قد ألفوا فيه كتبا عديدة، وزاد عدد المؤرخين عندهم زيادة كبيرة؛ حتى أنها لا تقارن بما كان يوجد قبلهم، أو لدى غيرهم؛ بحيث أن علم التاريخ في عصرنا يدين لهم بالكثير.

والواقع؛ كان للمؤرخين المسلمين قدم راسخة في إبراز منهجية علم التاريخ؛ لتعنى ما يتمثل من قواعد ومعايير ضرورية يلتزم بها القائمون عليها؛ إذ أن الحقيقة التاريخية ليست شيئا جامدا، وإنما بالأولى هي مرحلة فاصلة في شيء تجريبي متصل بغيره؛ وتعتبر جزءا من وعي المؤرخ؛ بقصد التوضيح والوصول إلى غاية محددة.

علم التاريخ عند المسلمين

التاريخ الهجري

ينسب إلى عمر بن الخطاب قوله: « ضعوا للناس تاريخا يتعاملون عليه، وتصير اوقاتهم مضبوطة فيما يتعاطونه من معاملاتهم»

وقال أحد الباحثين

: يكتب على تاريخ الفرس فقيل إن تاريخهم غير مستند إلى مبدأ معين، بل كلما قام منهم ملك إبتدوا من وقت قيامه وطرحوا ما قبله.

واتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الإسلام من وقت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، لان وقت الهجرة لم يختلف عليه أحد بخلاف وقت مبعثه أو وقت ولادته .

علم التاريخ عند المسلمين

- **تطور مدلول مصطلح التاريخ في القرون الأولى**
- **فيشمل كتب حملت عنوان التاريخ مثل كتاب التاريخ للإمام البخاري (٢٣٠هـ)** (هذه الكتب اقتصرت على سنوات الميلاد والوفاة للشخصيات المترجم لها)
- بعد ذلك أصبح التاريخ فناً قائماً بذاته «وقائع الزمان من حيث التعيين والتوقيت»
- فشمل كتب الحوليات والوفيات والسير والتراجم

بداية التدوين التاريخي عند المسلمين

كان لظهور الإسلام أثر كبير على نشأة علم التاريخ عند العرب، بل إن التاريخ العربي الإسلامي ولد ونشأ في كنف الإسلام وحضانته، الأمر الذي يعطي هذا العلم أصالته العربية الإسلامية بين العلوم الأخرى.

ويجب أن نشير إلى أثر الإسلام بمجمله: القرآن، الحديث، السنة ، ومن ثم فعاليات الدولة السياسية والعسكرية والاقتصادية، سواء في العهد النبوي أو الراشدي أو الأموي ثم العباسي ، باعتبارها مظهرا لفاعلية نظام الإسلام ودعوته، على حركة التدوين التاريخي .

اتجاهات التدوين التاريخي

الاتجاه الأول : هو اتجاه ديني تخصصي يتمثل في اهتمام وعناية أهل الحديث بالدراسات التاريخية، التي ارتبطت منذ ظهورها بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومغازيه، وتركز فى المدينة.

أما الاتجاه الثاني : فهو اتجاه قبَليّ عام أو اتجاه (الأيام) ، وهو استمرار للتراث القبلي الذي كان سائدا قبل الإسلام، وقد تركز هذا التيار على الأغلب في الكوفة والبصرة .

وأصبح هذان التياران (الديني والقبلي) محوري النشاط الثقافي في صدر الإسلام .

مناهج الكتابة التاريخية عند المسلمين

كتب السيرة النبوية ومغازي الرسول (منهج الاسناد)

حيث دفع اهتمامُ المسلمين بأقوال الرسول وأفعاله -للاهتداء بها، والاعتماد عليها في التشريع الإسلامي والنظم الإدارية- الكُتَّابَ إلى التصنيف في سيرة الرسول ، ويمكن تقسيم رواة السيرة وكتبهم حسب تَقَدُّمهم الزمني إلى ثلاث طبقات؛ الأولى: من أبرز رجالها: عروة بن الزبير بن العوام وهو تابعي (ت ٩٢هـ)، وأبان بن عثمان بن عفان، الذي ترك وراءه صُحُفًا تضمُّ مقتطفات من حياة الرسول، وشرحبيل بن سعد. ومن رجال الطبقة الثانية محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ويُعَدُّ من أعظم مؤرِّخِي المغازي والسيرة. أمَّا الطبقة الثالثة فمن أشهر رجالها محمد بن إسحاق، وتُنسب إليه أقدم كتب السيرة التي وصلتنا.

كتب التراجم

وهي مصنَّفَات تَعْرِضُ لسير حياة مشاهير الناس.

كتب الفتوح

وهي التي اهتمَّتْ بفتوح البلدان والأمصار.

كتب الأنساب

وتهتم بأنساب العرب وأصولهم.

التواريخ المحلية

وهي المصنفات التاريخية التي كُرِّسَتْ لتاريخ بلد مُعَيَّنٍ.

- المنهج .
- منهج البحث التَّاريخي .
- بداية الكتابة التاريخية عند المسلمين .
- المنهج العلمي للتاريخ عند العلماء المسلمين .
- قواعد الكتابة التاريخية عند المسلمين .

منهج البحث التَّاريخي:

فهو منهج إثبات الحقائق التَّاريخية"، و يعني القواعدَ والطُّرقَ التي اصطُلح على وضعِها بغرضِ الوصول إلى صحة المعلومات والتأكد من صوابها. فيصبح المنهجُ بهذا المعنى أداةَ بحثٍ ممكن استخدامها من قبل مجموعةٍ من الباحثين ،وإن اختلفتْ مناهجُ حياتِهم وعقائدِهم وتصوراتِهم.

أما المنهجُ عند المسلم محكومٌ بالتصور الإيمانيِّ والالتزام العقائديِّ، أي يلتزم بمقوِّمات العقيدة وقيمِها وتصوراتها عن اللهِ والكونِ والحياةِ وعن الإنسانِ ونشأتِهِ ومركزِهِ في هذا الكونِ ووظيفتِهِ وغايةِ وجودِهِ ومصيرِهِ الذي ينتهي إليه .

بداية الكتابة التاريخية عند المسلمين:

بدأ المؤرخون المسلمون كتابتهم التاريخية معتمدين على الرواية المسندة التي تتسم بثلاثة مظاهر:

- انفصال الأخبار فيما بينها واستقلالها.
- الطابع القصصي الذي لا يخلو من الحوار.
- الاستشهاد بالشعر.

قواعد الكتابة التاريخية عند المسلمين:

وللكتابة التاريخية قواعد هامة وأصيلة عند العلماء المسلمين تتلخص في : ١- استخدام الأدلة والوثائق بعد التأكد من صحتها. ٢- حسن استخدام الأدلة والوثائق، وذلك بإتباع التنظيم الملائم للأداة مع تحرير المسائل وحسن عرضها. ٣- الإيمان بكل ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الصحيحة، ومن ذلك: الإيمان بالغيب والجزاء والقضاء والقدر، وردُّ كل ما خالف ذلك. ٤- تحري الصدق في استقصاء جميع الروايات والأدلة حول الحدث الواحد وإيرادها، ثم الجمع بينها إذا أمكن ذلك، أو الترجيح بين الروايات المختلفة وفقًا للقواعد المقررة في التحقيق، مع الاستعانة بأقوال العلماء الثقات.

قواعد التحقق من الروايات التاريخية عند المسلمين

- **اعتماد المصادر الشرعية وتقديمها على كل مصدر .**
- **الفهم الصحيح للإيمان ، و دوره في تفسير الأحداث .**
- **أثر العقيدة في دوافع السلوك لدى المسلمين.**

الخبر

كان الخبر وسيلة لمعرفة الحدث أو مجموعة الأحداث، ويعد التعبير عن فكرة التاريخ قبل الإسلام، أي أنه كان يعني مضمون التاريخ، لأن العرب لم يتداولوا التاريخ أو يؤلفوا فيه قبل الإسلام، مثلما تداولوه وألفوا فيه في الإسلام .

والخبر كان أحد علوم العرب قبل الإسلام، مثل الفقه، والأيام، والأنساب، والشعر، فكانت للعرب أخبار في مرحلة ما قبل الإسلام.
لذلك فإن الخبر أسبق من التاريخ عند العرب، وعرفوه قبل أن يعرفوا التاريخ بمدلوله الاصطلاحي.

الإخباريون

تعتبر حركة جمع التراث التاريخي وتدوينه ((جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الإسلامية)) التي جرى جمع شتاتها وتسجيل مادتها.

وأهم من ذلك ((تبويب العلوم)) وتصنيفها واستقلال بعضها عن البعض الآخر، وتحديد موضوعات كل علم ووضع أصول مناهجه.
وبطبيعة الحال شارك الإخباريون ـ شأنهم شأن غيرهم من المشتغلين بالعلوم الأخرى ـ في تلك الحركة، بأن جمعوا الروايات التاريخية من شتى مصادرها، من الوثائق الرسمية، والنقوش الأثرية ـ في القليل النادر ـ ورواة القصص، والنسابة، وشيوخ القبائل، فضلاً عن المصادر الأجنبية، ثم رتبوا تلك المادة بعد نقدها وتمحيصها، ودونوها على الورق في شكل كتب ومصنفات ورسائل.

وقد اتجهت جهود الإخباريين نحو ((التاريخ)) بمفهومه الصحيح، فسيف بن عمر مثلاً ربط بين ((الردة)) و ((الفتوح))، وكان موضوع الردة من قبل له رواياته المتعلقة به، كما أن الفتوح لم تعالج من قبل في وحدة عضوية متكاملة. أما عوانة بن الحكم فقد وظف أخباره في تصنيف تاريخ للإسلام حتى خلافة عبدالملك. وأبو مخنف استخدم مادته في التأريخ لصدر الإسلام، ثم أرخ ((لأخبار صفين)) على حدة، ثم حوادث العراق حتى نهاية العصر الأموي. وتوج المدائني جهود الإخباريين ـ وبزّهم جميعاً ـ حين أرخ التاريخ العربي برمته

من الجاهلية حتى مطلع القرن الثالث الهجري، وفي جوانبه السياسية والاجتماعية والأدبية كافة.

وهناك بعض الانتقادات التي وجهت إلى عملية التدوين، منها ظاهرة التكرار للحادثة الواحدة في أكثر من موضوع، وبروايات وأسانيد مختلفة في المصنف الواحد، كذلك الأخطاء في الأسماء والأعلام والخلط بين الأشخاص في نسبة الخبر، وكذا الخلاف حول الأعداد وتقديراتها.

ولكن بالنظر إلى الصعوبات التي واجهت الإخباريين، والضغوط التي تعرض لها بعضهم، والإغراءات التي أسالت لعاب البعض الآخر، وأخيراً الصراع الاجتماعي والسياسي في بعض الأوقات أثناء جمعهم للأخبار ، لوجدنا أن هذه الانتقادات لا تقارن بحجم انجازات الإخباريين . كما أن هذه الموانع والعقبات تعترض طريق المشتغلين بدراسة التاريخ أيضا.

وأهم ما يلاحظ في هذا الصدد، أنه برغم نهل الإخباريين من مصادر ومراجع تكاد تكون موحدة، وبرغم تناولهم موضوعات بعينها، فقد اختلفوا في الرؤى والتفسيرات.

وتظهر بوضوح روح التسامح، وعدم الانحياز أو التعصب بين هؤلاء الإخباريين، فقد اعتمد أبو مخنف على روايات قبيلته ـ الأزد ـ إلى جانب روايات القبائل الأخرى كتميم وهمدان وطيء وكندة، فضلاً عن روايات أهل المدينة، متجاوزاً نزعة التعصب القبلي. ورغم أنه من الشيعة لم يتقاعس عن تقصي أخبار الخوارج، برغم العداء التقليدي بين الخوارج والشيعة. والشيء نفسه يقال عن نصر بن مزاحم حيث يزخر كتابه، ((أخبار صفين)) بمعلومات جد هامة عن الخوارج وموقفهم إزاء التحكيم.

.....

المحاضرة الرابعة عشر

مراجعة عامة

كتابة السير في العصر الإسلامي
سيرة الرسول (ص)

أولاً منهجية المحدِّثين:

والمحدِّثون هم مَن التزم بقواعدِ التحديثِ في كتابةِ السِّيرةِ النَّبويَّةِ، و تظهرُ التجزئةُ للأحداثِ في كتاباتِ المحدِّثين الذين التزمُوا بقواعدِ الرِّواية وتمييز الأسانيدِ عن بعضِها، وربما قطَّعوا الرِّوايةَ الواحدةَ ، فخرَّجُوا بعضَها في مكانٍ وبقيَّتَها في مكانٍ آخرَ تبعاً لموضوعاتِ (تراجم) مؤلَّفاتهم ، كما يظهرُ ذلكَ جَلياً في قِسم (المغازي) الذي كتبَهُ الإمامُ البُخاريُّ - رحمه الله - ضمن صحيحِهِ ، ويظهر بصورةٍ أخفَّ في صحيح الإمامِ مُسلمٍ بسبب عنايتِهِ الخاصَّةِ بسردِ المتُونِ الطَّويلةِ وتحريرِ ألفاظِها ؛ لأنَّهُ أقلُّ عنايةٍ من البُخاريِّ بتقطيعِ الرِّوايةِ حسب تراجمِ كتابِهِ.

الإسناد وأهميته:

ولاشكَّ أنَّ للإسنادِ عند المسلمينَ شَأْناً كبيراً ومكاناً خطيراً ؛ فبه يُعرف حالُ الرَّاوي والرِّواية، وبه تقوم الحُجَّةُ بأحكام الشريعة وتفصيلاتها؛ وكان أول مَن أدرك قيمة هذا الأمر وخطورتَهُ الصَّحابة أنفسُهم ؛فتثبَّتوا في الرِّوايةِ وقبولِها ، ولكنْ لغلبةِ التَّقوى والوَرَع عليهم وانعدامِ الكَذِبِ في تلكَ الأيَّامِ لم يكنْ أحدُهم يتهمُ الآخرَ بالكذبِ أو الزِّيادةِ في الحديثِ . وما وقع منهم مِن خطأ ، فإنَّما كانَ من باب الخطأ الذي لا يكاد يسلمُ منه أحدٌ، باعتباره مجتمع الصَّحابة الذي كان يسودُهُ الصِّدقُ والأمانةُ، فكانَ الأمرُ لا يحتاجُ إلى البحثِ في عدالةِ الرَّاوي ، إذِ الصَّحابةُ كلُّهم عُدُولٌ فيما يروونه وينقلونه عن النَّبيِّ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ -.

ولقدْ سارَ المُؤلّفون والمؤرخون على ذلك المنهجِ – منهج الإسناد – وكان منهم مَن التزم الصِّحَّة في كلِّ ما يرويه - كما ذكرنا - كالبُخاريِّ ومسلمٍ ، ومنهم مَن لم يكن يلتزمْ الصِّحَّة كغيرهم من المحدِّثين .

لقد اعتنى أصحابُ مدرسةِ الحديثِ بالسِّيرةِ النَّبَويَّةِ ؛ سواء بالتَّأليفِ المُستقِلِّ أوبتخصيص بعضِ الأبوابِ في المسانيدِ والجوامع والسُّنن للسِّيرةِ النَّبَويَّةِ والشَّمائلِ والدَّلائلِ والمغازي وأحاديثِ أحكامِ الجِهَادِ ومكانة الصَّحابةِ وفضائلِهم.

منهجيةُ المُؤرِّخينَ:

لقدْ سلكَ المُؤلّفونَ في التَّاريخ مَنهجينِ مُتقاربينِ في ترتيبِ كتبهم، فطائفةٌ اتخذتِ التَّنظيمَ الموضوعيَّ مع مُراعاةِ التَّرتيبِ الزَّمنيِّ في سَوق الموضوعات سواء في تواريخ الأُممِ السَّابقةِ أو التَّاريخ الإسلاميِّ بعد البعثةِ النَّبَويَّة.

وطائفةٌ اتَّبعتِ التنظيمَ الموضوعيَّ في تاريخ ما قبلَ البعثةِ النَّبَويَّة لعدمِ وجودِ تاريخٍ زمنيٍّ ثابتٍ ومُستمرٍّ، ولكنَّها إذا جاءتْ للتَّاريخ الإسلاميِّ رتَّبتْ أحداثَهُ حسبَ السَّنواتِ الهجريةِ وهو المعروفُ بالتَّاريخ الحوليِّ، حيث يسردُ حوادثَ كلِّ سنةٍ هجريةٍ على حِدَةٍ، ثُمَّ التي تَلِيها وهكذا، مُرتَّب على التَّسلسلِ الزَّمنيِّ دُونَ النَّظر إلى التَّسلسلِ الموضوعيِّ .

منهجيةُ مَن جَمَعَ بين صِفتي المُؤرِّخ والمحدِّثِ:

القسم الثالث من المناهج منهجيةُ مَن جمع بين طريقةِ المُؤرِّخين وطريقةِ المحدِّثين. فقد جمعَ بعضُ المُؤلّفين بين صِفتي المحدِّثِ والمُؤرِّخ مثل محمد بن إسحاق وخليفة بن خيَّاط، ويعقوب بن سُفيان، ومحمد بن جَرير الطَّبريِّ، وهؤلاء أفادُوا منهجَ المحدِّثين بالتزامِ سَرْدِ الأسانيدِ ومُحاولةِ إكمالِ صُورةِ الحادثِ عن طريق جمعِ الأسانيدِ ، أو سردِ الرِّواياتِ التي تُشكِّلُ وحدةً موضوعيةً تحتَ عناوينَ دالّة .

المنهج الموضوعي:

وهو أخذُ موضوعٍ من مواضيع السِّيرةِ، والكتابةُ عنْهُ ؛كمَنْ يكتبُ في الدَّلائلِ أو الشَّمائلِ أو العظاتِ والعِبَرِ أو دراسة غزوةٍ من الغَزَواتِ....إلخ وإمَّا أنْ يُسندَ الكاتبُ ما كتبَهُ أو لا يُسنده. ومن المؤلَّفاتِ في الدَّلائل كتاب "دلائل النبوة" لأبي نُعيم ، و"دلائل النبوة" لأبي

زُرعة الرازيِّ، وغير ذلك. ومن المؤلَّفاتِ في الشَّمائل كتابٌ لمحمد بن عيسى التِّرمذيِّ في "الشمائل النَّبَويَّة" مرويٌّ بالأسانيدِ على طريقةِ المحدِّثينَ .

الكتابة التاريخية في العصر العباسي

شهد هذا العصر تطورًا كبيرًا في الكتابة التاريخية؛ حيث سلك المؤرخون المسلمون فى كتاباتهم التاريخية طريقتين:

أولاً: التأريخ الحولي -وهو حسب السنين-: وفى هذه الطريقة يؤرخ للأحداث سنة بعد سنة، حيث كانت مختلف الحوادث تجمع فى كل سنة، ويربط بينها بكلمة "وفيها"، فإذا انتهت حوادث السنة الواحدة، انتقل المؤرخ إلى حوادث السنة التالية، فيستخدم الجملة الآتية "ثم دخلت سنة كذا" أو "ثم جاء فى سنة كذا".

- التأريخ حسب الموضوعات.
- التأريخ حسب الطبقات .
- التاريخ حسب الأنساب .
- التأريخ العالمي، ويبدأ من أدم عليه السلام ويستعرض فيها المؤرخ تاريخ الأنبياء.
- التأريخ المحلىّ.
- التأريخ المعاصر والمذكرات.

مناهج تدوين التاريخ (في القرن الثالث إلى السابع الهجري).

تكثر المؤلفات التاريخية الموسوعية بين القرنين الثالث والسابع هجري ولمع في هذه العصور مؤرخون كبار ممن كان لتصنيفاتهم التاريخية أهمية كبيرة في تثبيت أسس علم التاريخ وقواعده من جهة، كما أنها أصبحت مصادر غنية لمن جاء بعدهم من المؤرخين.

وقد تم ظهور الوراقة "الكتب بالانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور المتعلقة بالكتب والدواوين" التي كانت أحد أهم أسباب ازدهار حركة التأليف والترجمة، وفي ما يلي بعض المؤلفات التاريخية:

- المدرسة الحجازية (في المدينة ومكة)

هي مدرسة كتاب السيرة والمغازي.
روادها هم الذين اهتموا بعرض الظروف والأحداث التاريخية الهامة في حياة الرسول والمسلمين الأولين.
وقد اعتمدوا على شيئين:
الأول – ما كان دائرا بين العرب من إخبار الجاهلية.
الثاني – أحاديث رواها الصحابة ، والتابعون ومن بعدهم عن حياة النبي (ص) وعن ولادته ونشأته ودعوته إلى الإسلام ، وجهاده مع المشركين وغزواته . إلى حين وفاته.

عروة بن الزبير - الزهري

المدرسة العراقية في الكوفة ، والبصرة ، وبغداد

فقد كانت مقر الحاميات القبلية، وموطن التقاليد القبلية. اهتم أتباع هذه المدرسة بالنقد أحيانا عند ذكرهم لعدة روايات وبأسانيد مختلفة ومحاولة ترجيح كفة على أخرى، مستخدمين ما يتوفر من وثائق رسمية أو نصوص مدونة.

***استخدموا أسلوب النقد الداخلي والخارجي للنص.**
***اهتم أتباع المدرسة بجوانب أخرى مثل (الصلة بين قريش والعرب، الأدب العربي ، الرحلة في طلب العلم).**

أشهر مؤرخي المدرسة في القرن الثالث الهجري:
- ابن قتيبه (المعارف :(يتحدث عن تاريخ ألامه والشعوبية والعالمية للتاريخ.
- البلاذري (انساب الإشراف ,فتوح البلدان):الجهاد ودور العرب التاريخي في ذلك.
- اليعقوبي(التاريخ).التاريخ العام رغم ميوله الواضحة.
- الدينوري (الأخبار الطوال): يظهر تأثير العراق وفارس على الكتابة ودورهم في الحكم العباسي.
- الطبري (تاريخ الأمم والملوك، جامع البيان في تفسير القرآن): الاهتمام الديني والنضج الروحي الذي وصلت إليه ألامه.

- مدرسة التاريخ في قرطبة(الأندلس)(٩٢- ٨٩٧هـ) - احمد بن محمد الرازي - ابن حيان القرطبي - ابن بطوطة .

- مدرسة التاريخ في مصر والشام. - يزيد الازدي - عبدا لرحمن بن الحكم- .أبو عمر الكندي - عبدا لرحمن بن الحكم.

مدرسة مكة التاريخية : التاريخية المكية كانت تتميز بخصائص اجتماعية، ومجالات كتابة مؤرخيها لم يشاركها فيها مدرسة أخرى . تهتم اهتماماً مركزياً بالحرم المكي الشريف؛ بناءً، وإعماراً ، وتدريساً وخطابة ، وما ارتبط به من قضايا فقهية. شكلت رحلات الحج، وأحداثه، وقضاياه ؛ سمة مكية لمؤرخي مكة. كما اهتمت المدرسة المكية بالتراجم وآل البيت والأسر، والمذاهب السنية.

برع مؤرخو مكة في الفقه والتفسير وعلوم الحديث طلباً وضبطاً، وكان يُجاز الواحد منهم من العشرات من علماء الشريعة في عدد من الأقطار، وقد ألف العز بن فهد معجماً لشيوخه يقال إنه يحوي ألف شيخ، وقد قرأ عليهم العز التفسير والحديث وعلومه، والفقه والأصول، والنحو وعلوم اللغة.

كان لكثير منهم مكانة مرموقة في المجتمع المكي ، ولدى أمراء مكة الأشراف، ويشاركون في اجتماعات العلماء والفقهاء حول استصدار الفتاوى لقضايا ونوازل معاصرة لهم ، كبناء ما تهدم من سقف الكعبة عام ٩٥٩هـ.. وتولي العديد من المناصب الدينية ومنها منصب الإفتاء.

اهتم مؤرخو مكة بالقضايا الفقهية مما يدل على تمكنهم من ذلك،مثل مسح المقام وحول نزع الخف والنعل لدخول الكعبة، وتقبيل الحجر الأسود، وحكم ما يهدى إلى الكعبة، وماء زمزم، وغيرها من الأمور والقضايا.

أبرز علمائها:

- السنجاري (١٠٥٧-١١٢٥هـ)

- محمد بن أحمد المكي المالكي الصباغ(١٢٤٣-١٣٢١هـ).

الكتابة التاريخية في القرن الثاني والثالث الهجري

اعتبر العلماء القرن الثالث الهجري أزهى عصور السنة وأسعدها بالجمع والتدوين ، ففيه دونت الكتب الستة التي اعتمدتها الأمة فيما بعد ، وفيه ظهر أئمة الحديث وجهابذته ، وفيه نشطت رحلة العلماء في طلب الحديث.

وبتتبع علم التاريخ عند المسلمين خلال القرون الأولى نجده قد سار في **اتجاهين: الاتجاه الإسلامي** أو الاتجاه الذي ظهر عند أهل الحديث ،والاتجاه القبلي . وهذان الاتجاهان يعكسان التيارين الكبيرين في مجتمع صدر الإسلام: **الاتجاه القبلي** الذي يمثل استمرار التراث القبلي، والتيار الإسلامي الذي يمثل المبادئ والفعاليات الإسلامية أي بالحديث أساسا ثم بالسيرة والمغازي.

من أعلام تلك المرحلة

ابن عبد الحكم (٢٥٧ هـ).

سيف بن عمر الأسدي التميمي (ت ٢٠٠ هـ) .

اليعقوبى (ت بعد ٢٩٢ هـ).

البلازرى (٢٧٩ هـ).

- ابن جرير الطبري ٣١٠ هـ:

محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ والمفسر والإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها.

- المسعودي (ت٣٤٦ هـ):

- **علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، مؤرخ، ورحالة، وباحث. من أهل بغداد. أقام بمصر وتوفي فيها. من أهم كتبه "مروج الذهب ومعادن الجوهر " - أخبار الزمان ومن أباده الحدثان " .**

مسكويه (ت ٤٢١ هـ)

أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، أبو علي ، مؤرخ وكاتب وباحث. أصله من سكان أصفهان وتوفي بها. اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق. أهتم بالتاريخ والأدب.

ويمكن تلخيص ملامح المنهج التاريخي لدى مسكويه فى أن التاريخ أحداث يمكن أن يستفيد منها الإنسان في أمور تتكرر، ومقارنة الماضي بالحاضر للإفادة من خبرات الماضي .

- ياقوت الحموي (٦٢٦ هـ):

ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب.

(ابن خلدون) ٨٠٨ هـ :

عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الاشبيلي، من ولد وائل بن حجر: الفيلسوف والمؤرخ، والعالم الاجتماعي البحاثة.

وقد بلغت الكتابة التاريخية وعلم التاريخ أوجها لدى ابن الخطيب العلامة الموسوعي، وابن خلدون صاحب فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع. ويتضح منهجه التاريخي في أن التاريخ فنٌ غايته نقل الأخبار. والتاريخ معرفة الماضي للإفادة منها في رؤية الحاضر.

التاريخ لدى ابن خلدون ليس مجرد نقل للأحداث السياسية وسيَر الملوك والسلاطين، بل هو تصوير للحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية بما تشمله هذه الحياة من رقي وازدهار، أو تخلف وتدهور. هذا بجانب الكثير والكثير من العلماء والمؤرخين الذين لا يتسع المجال لحصرهم وإنما أوردنا هؤلاء على سبيل المثال.